الْإِخْلَاصُ

وَأَثَرُهُ فِي صِحَّةِ الْاِعْتِقَادِ

وَسَلَامَةِ الْفِكْرِ



الشيخ الدكتور

عبد الرحمن بن معلا اللويحق

الألوكة

www.alukah.net

الإخلاص
وأثره في صحة الاعتقاد
وسلامة الفكر

تأليف:
الدكتور: عبد الرحمن بن معلا اللويحق

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، يهدي من يشاء من عباده إلى الحق، فمهما اختلف الناس واضطربت السُّبل فإنهم على صراطٍ مستقيم.

وأشهد أن لا إله إلا الله الحق المبين، هو الحق ودينه الحق، ولقاؤه حق {عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}[العلق:5] {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا }[البقرة:31].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أقام الله به الدين وأوضح السبيل، صل الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين.

أما بعد:

فلم يزل الوصول إلى الحقيقة مقصد كثيرٍ من الناس إن صدقاً وإن ادعاءً، ولم يزل منظرو كل دين ومذهب وفكر، يقدمون للناس منهجهم في الوصول إلى الحقيقة، ويرفع كثير من الناس: لواء الموضوعية، وعدم التحيز؛ ليكون شعار الباحثين عن الحقيقة.

ففي مناهج البحث - على سبيل المثال – نجد الموضوعية على رأس القيم التي يدعوا إليها الكاتبون في هذا المجال.

فيدعون إلى أن تكون الموضوعية رائدة الباحث، فيقوده الدليل إلى الحق وإن خالف ميله وهواه.

فلا يتحيز لفكرة أو يسلم نفسه لهوى وعاطفة، أو عادة أو تقليد، بل يكون عادلاً أميناً نزيهاً [1].

---

[1] (1) انظر: عبد الوهاب أبو سليمان: كتابة البحث العلمي صياغة جديدة:(27-28) ويعقوب النشوان: البحث العلمي وأهميته:(39) وعلي شوكت وفوزي فائق: البحث العلمي:(46) وعبد العزيز الربيعة: البحث العلمي وأهميته:(1/119).

ولكن هـذه الموضـوعية عند التطـبيق لا تنفك عن اختلاف وتجاذبات وادعاءات متقابلة.

فـ (الموضوعية مصطلح يستخدم اليـوم بكـثرة في الكتابات المنوعة، وهذا المصطلح وإن اتفق على كثـير من مضامينه إلا أن جوانب منه تظـل موضـع نـزاع بين الباحثين، وهذا الـنزاع لا يتوقـع أن نشـهد لـه نهايـة في يوم من الأيام؛ إذ إن الموضوعية جــزء من منهج علمي عـــام، وهـــذا المنهج لا يمكن فصـــله عن معتقـــدات الباحثين، ومجموعات الصـور الذهنيـة لـديهم، ومن هنـا فـإن بالإمكـان أن يقـف باحثـان نزيهـان على طـرفي نقيض تجاه مسألة من المسائل مع اعتقـاد كـل منهمـا اعتقاداً جازماً أنه موضـوعي في موقفـه، وأن المقابـل له على الطرف الآخر بعيد عن الموضوعية.

إن الذي لا يقيم وزناً للـوحي يعـدُّ دراسـة الأسـانيد؛ وتصنيف الرواة ضرباً من العبث.

وإن الذي يؤمن بأن الإنسان لا يستغني عن الوحي؛ لأنه غير قادر على الاستبصار الصحيح لجميـع مصـالحه يـرى كثـيراً من أسـاليب البحث العلمي عنـد الغربـيين مشوشة ومضللة، وهكذا ..)[1].

(إن الذين يدّعون الموضوعية لا يحصون عدداً، وإن الـذين يتهمـونهم بـالخروج عنهـا لا يقلـون عنهم عـدداً، والسبب أن هـذا الأمـر لـديهم فقـد إطـاره المـرجعي، وكثيراً من الثوابت التي تمنحه الاستقرار والتعميم)[2].

ومرد التفاوت بين الناس في الموضوعية عائـدٌ إلى تصوراتهم العامة للإنسان والكون والحيـاة (ممـا يجعـل

[1] (2) عبد الكريم بكار: فصول في التفكير الموضوعي:(105).
[2] (1) المصدر السابق:(106).

لتصـــور الموضـــوعية عنـــد هـــذا الفريـــق، أو ذاك بعض الخصوصية التي تميزه عن تصورات أخرى.

ومـــع أن في الموضـــوعية جـــوانب ثابتـــة تتـــوارث التواصي بها الأجيال في كـل مكـان كالبعـد عن الهـوى والتعصب للرأي وإنصاف الخصم إلا أن هناك تفصـيلات دقيقـة، بـل جـوانب كاملـة – كتلـك المتعلقـة بجـوانب البحث- هي مثـار وتبـاين بين الأمم، وبين الأجيـال في الأمة الواحدة)[1].

ولكن تبقى لكل أمة رؤيتها للموضـــــــــــوعية، وما يضادها.

لقد جاء الإسلام ليضع البشر على طريق الاستقامة على الحق، اعتقاداً وفكـراً وعملاً وسـلوكاً، ويبـني في ســـبيل ذلك منهجـــاً متكـــاملاً؛ للوصـــول إلى الحق والاستقامة عليه.

وهـــذا البحث متعلق بالأســـاس الإيمـــاني، وهـــو: (الإخلاص) بحسـبانه: الأصل الـذي عليه مـدار حيـاة المؤمن {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُـكِي وَمَحْيَـايَ وَمَمَـاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَـالَمِينَ * لَا شَـرِيكَ لَـهُ وَبِـذَلِكَ أُمِـرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ }[الأنعام:162-163].

إن الرؤية الإســلامية لارتبــاط الإنســان بربه تجعل العلم لله - عز وجل- كما أن العمل له سبحانه وتعالى.

فمن خلق الإنسان هو الـذي وضع له إطـار المعرفة ومصـــادرها، وأصـــول ضـــبطها، ومـــدار الأمر كله على

[1](2) المصدر نفسه:(105).

التوجه لله - عز وجــــل- وإســـلام الوجه لله علمـــاً، واعتقاداً وفكراً.

ولقد اجتهدت في بيان هذا البحث أن أبين الأمر في جملة من المبــاحث من خلال تتبع النصــوص، وأقــوال أهل العلم.

المبحث الأول: تعظيم الحق وإيثاره.

المبحث الثاني: حسن القصد والاجتهاد في إدراك الحق.

المبحث الثالث: الإخلاص لله - عز وجل-.

المبحث الرابع: نبذ الآفات المضادة للإخلاص، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الحسد.

المطلب الثاني: الكبر.

المطلب الثالث: البغي.

المطلب الرابع: التعصب.

المطلب الخامس: اتباع الهوى.

المبحث الأول:

تعظيم الحق وإيثاره:

عظم الإسلام الحق، وجعل له منزلة عليا، فعليه قامت السموات والأرض، وأنزل الله الكتاب بالحق.

فقال الله - عز وجل-:

ﭽ ۈ ۇ ۆ ۅ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ [النساء: 105].

ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼ [المائدة: 48].

ﭽ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭼ [آل عمران:3].

ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ [الشورى:17].

ﭽ □ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ [الحديد: 25].

والخلق بطبيعتهم فطروا على محبة: (الحق).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:(والقلب خلق يحب الحق، ويريده ويطلبه)(1)[1].

وهذه الفطرة هي التي خلق الله عباده عليها، يقول ابن تيمية -رحمه الله-:(والله سبحانه خلق عباده على الفطرة التي فيها معرفة الحق والتصديق به، ومعرفة الباطل والتكذيب به، ومعرفة النافع الملائم والمحبة له، ومعرفة الضار المنافي والبغض له بالفطرة، فما كان حقاً موجوداً صدقت به الفطرة وما كان حقاً نافعا عرفته الفطرة، فأحبته واطمأنت إليه، وذلك هو المعروف، وما كان باطلاً معدوماً كذبت به الفطرة، فأبغضته الفطرة فأنكرته)(2)[2].

وإنما يستقيم على هذه الفطرة المؤمن، فقد وافق اعتقاده وعمله فطرة الله التي فطر الناس عليها، وأما الكفار والمنافقون، فقد اجتالتهم الشياطين عن دينهم.

(1)[1] الفتاوى:(10/88).
(1)[2] المصدر نفسه:(4/32).

ولذلك فإن من صفات أهل الإيمان قبولهم للحق، ورجوعهم إليه عند التنازع وأوبتهم إلى الحق إذا بين لهم.

يقول الله تعالى: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ [الزمر:17-18].

والشريعة جاءت بهذا المقتضى فالإنسان مأمور بالعدل والحق ولو على نفسه ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [النساء: 135].

وفي السنة النبوية ما يدل على مقامين متعلقين بالحق:

المقام الأول: حب الحق والحرص عليه، والاهتمام بإقامته.

المقام الثاني: قبوله من كل أحد والرجوع إليه عند التنازع.

ومن ذلك:

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عـوف قـال: سـألت عائشة أم المؤمنين –رضي الله عنها- بـأي شـيء كـان نبي الله -ﷺ- يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كـان إذا قـــام من الليل افتتح صــــلاته:" اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسـرافيل، فـاطر السـموات والأرض، عـالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبـادك فيما كـانوا فيه يختلفـون، اهـدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم "[1].

وعن أم ســلمة -رضي الله عنها - عن رســول الله -ﷺ- أنه سمع خصـومة ببـاب حجرته، فخـرج إليهم، فقـال:" إنما أنا بشر، وإنه يـــأتيني الخصم، فلعل بعضـــكم أن يكـــون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صـــدق، فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم، فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها، أو فليتركها "[2].

وعن أبى هريـــرة -رضي الله عنه- أن النـــبي -ﷺ- قال:" اللهم إني أتخذ عندك عهـداً لن تخلفنيه، فإنما أنا بشر، فـــأي المؤمـــنين آذيته، شـــتمته، لعنته، جلدته فاجعلها له صـــلاة، وزكـــاة، وقربة تقربه بها إليك يـــوم القيامة "[3].

وعن قتيلة بنت صيفي الجهنية قـالت: أتى حـبر من الأحبار رسول الله -ﷺ- فقـال: يا محمد، نعم القـوم أنتم لـولا أنكم تشـركون! قـال:" سـبحان الله، وما ذاك؟ " قال: تقولون إذا حلفتم: والكعبة. قالت: فأمهل رسـول الله -ﷺ- شـــيئاً، ثم قـــال: إنه قد قـــال:" فمن حلف، فليحلف بـرب الكعبة " قـال: يا محمد، نعم القـوم أنتم

---

[1] (1) أخرجه مسلم:(304) برقم:(770).
[2] (2) أخرجه البخــاري:(463) بــرقم:(2458) ومســلم:(711) بــرقم:(1713).
[3] (3) أخرجه مسلم:(1045) برقم:(2601).

لولا أنكم تجعلون لله نداً. قال " سبحان الله، وما ذاك؟ " قال: تقولون: ما شاء الله وشئت. قالت: فأمهل رسول الله -ﷺ- شيئاً، ثم قال: إنه قد قال: " فمن قال ما شاء الله، فليفصل بينهما، ثم شئت "[1].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله-: (وفيه قبول الحق ممن جاء به كائناً من كان)[2].

وفي حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: .. فقال:" يا أبا هريرة " وأعطاني نعليه قال:" اذهب بنعلي هاتين، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله، مستيقناً بها قلبه، فبشره بالجنة " فكان أول من لقيت عمر، فقال: ما هاتان النعلان يا أبا هريرة؟ فقلت: هاتان نعلا رسول الله -ﷺ- بعثني بهما من لقيت يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشرته بالجنة، فضرب عمر بيده بين ثديي فخررت لإستي، فقال: ارجع يا أبا هريرة، فرجعت إلى رسول الله -ﷺ- فأجهشت بكاء، وركبني عمر، فإذا هو على أثري، فقال لي رسول الله -ﷺ-:" ما لك يا أبا هريرة؟ " قلت: لقيت عمر، فأخبرته بالذي بعثتني به، فضرب بين ثديي ضربة خررت لإستي قال: ارجع. فقال له رسول الله -ﷺ-:" يا عمر ما حملك على ما فعلت؟ " قال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، أبعثت أبا هريرة بنعليك، من لقي يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه بشره بالجنة؟ قال:" نعم " قال: فلا تفعل، فإني أخشى أن يتَّكل الناس عليها، فخلهم يعملون، قال رسول الله -ﷺ-: " فخلِّهم "[3].

---

[1] (1) أخرجه أحمد:(45/ 43) برقم:(27093) وقال محققه شعيب الأرنؤوط:(إسناده صحيح).

[2] (2) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد:(419).

[3] (3) أخرجه مسلم:(46) برقم:(31).

قــال النــووي –رحمــه اللــه- :(وفيه إشــارة بعض الاتباع على المتبوع بما يراه مصلحة، وموافقة المتبــوع له إذا رآه مصلحة، ورجوعه عما أمر به بسببه)[1].

وعن أبيض بن حمال – رضي الله عنه- أنه وفد إلى رســول الله -ﷺ- فاســتقطعه الملح، فقطع له، فلما أن ولى، قــال رجل من المجلس: أتــدري ما قطعت له؟ إنما قطعت له الماء العِدّ قال: فانتزعه منه.[2]

الماء العِدُّ: الماء الدائم الذي لا ينقطع[3].

وقد أفاد الحديث:(أن الحـاكم إذا حكم، ثم ظهر أن الحق في خلافه ينقض حكمه، ويرجع عنه)[4].

وعن أنس –رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال:" كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون "[5].

وعن عائشة -رضي الله عنهــا- عن رســول الله -ﷺ- أنه قــال:" أتــدرون من الســابقون إلى ظل الله -عز وجل- يوم القيامة؟ " قـالوا: الله ورسـوله أعلم. قـال: " الــذين إذا أعطــوا الحق قبلــوه، وإذا ســئلوه بــذلوه، وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم "[6].

وعلى ذلـك جـرى الصـالحون، وأئمـة الهـدى، قـال الحسـن البصـري – رحمـه اللـه – واصـفاً الصـحابة:(

---

[1] (4) شرح صحيح مسلم:(1/240).
[2] (1) أخرجه الترمــذي:(242) بــرقم:(1380) وأبو داود:(347) بــرقم:(3066) وابن حبان:(10/ 351) برقم:(4499).
[3] (2) انظر: المباركفوري: تحفة الأحوذي:(4/527).
[4] (3) العظيم آبادي: عون المعبود:(8/219).
[5] (4) أخرجه ابن ماجه:(458) برقم:(4251)، والترمذي:(2499) برقم:(2499) والحاكم: المستدرك:(4/ 272) بـرقم:(7617) وقـال:(حـديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) وقال الذهبي:(علي بن مسعدة لين).
[6] (5) أخرجه أحمـد:(40/ 440) بـرقم:(24379) وقـال محققه شـعيب الأرنؤوط:(إسناده ضعيف؛ لضعف ابن لهيعة).

وخضوعهم بالطاعة لربهم - تعـالى- واسـتقادتهم للحق فيما أحبوا وكرهوا، وإعطاؤهم الحق من أنفسهم)[7].

[7] (1) أبو نعيم: حلية الأولياء:(2/143).

وفي الآثار عن الصحابة - رضي الله عنهم- ما يدل على تعظيمهم للحق، ومن ذلك:

قول أبي بكر الصديق - رضي الله عنه- لما ولي الخلافة في خطبته المشهورة وفيها:(أيها الناس إنما أنا متبع، ولست بمبتدع، فإن أحسنت فأعينوني، وإن زغت فقوموني)[1].

وقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-:(أحب الناس إلي من رفع إلي عيوبي)[2].

وكتب عمر بن الخطاب إلى معاوية - رضي الله عنهما-:(أما بعد: فالزم الحق، ينزلك الحق منازل أهل الحق، يوم لا يقضى إلا بالحق)[3].

وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري - رضي الله عنهما-:(ولا يَمنعك قضاء قضيته بالأمس، راجعت فيه نفسك، وهُديت فيه لرشدك، فإن مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل)[4].

وعن علي-رضي الله عنه-قال:(أشد الأعمال ثلاثة: إعطاء الحق من نفسك وذكر الله على كل حال، ومواساة الأخ في المال)[5].

وعن محمد بن كعب القرظي، قال: سأل رجل عليّا -رضي الله عنه- عن مسألة، فقال فيها. فقال الرجل: ليس كذلك يا أمير المؤمنين، ولكن كذا وكذا.

فقال علي-رضي الله عنه-:(أصبتَ وأخطأتُ، وفوق كل ذي علم عليم)[6].

---

[1] (2) ابن سعد: الطبقات:(3/183).
[2] (3) المصدر نفسه:(3/293).
[3] (4) الذهبي: السير:(11/233).
[4] (5) المبرد: محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب:(556-2/555).
[5] (6) أبو نعيم: الحلية:(1/85).
[6] (1) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله:(1/262).

وقال رجل لعبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- أوصني بكلمات جوامع نوافع، فقال له عبد الله :(اعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وزل مع القرآن حيث زال، ومن أتاك بحق فأقبل منه وإن كان بعيداً، ومن أتاك بباطل فاردده وإن كان حبيباً قريباً)[1].

وقال أبو الدرداء -رضي الله عنه-:(لن تزالوا بخير؛ ما أحببتم خياركم، وما قيل فيكم الحق فعرفتموه؛ فإن عارفه كفاعله)[2].

وقد كانوا في الجملة كما قال عنهم ابن رجب - رحمه الله -:(كان أئمة السلف المجمع على علمهم وفضلهم، يقبلون الحق ممن أورده عليهم، وإن كان صغيراً ويوصون أصحابهم وأتباعهم بقبول الحق إذا ظهر في غير قولهم)[3].

إن آفة كثير من الخلق أنهم ردوا الحق ولو عرفوه، ولذلك قال الله -تعالى- عن اليهود: ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭼ [البقرة: 89].

وقال سبحانه: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﭼ [البقرة: 91].

وإذ ردوا الحق فإنهم لبسوا الحق بالباطل، يقول الله – عز وجل-: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ [البقرة: 42].

قال ابن سعدي – رحمه الله-:({ ﮕ ﮖ ﮗ } أي: تخلطوا { ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ} فنهاهم عن شيئين، عن خلط الحق بالباطل، وكتمان الحق؛ لأن المقصود من أهل الكتب والعلم، تمييز الحق، وإظهار الحق، ليهتدي بذلك المهتدون، ويرجع الضالون، وتقوم الحجة على

---

[1] (2) الطبراني: المعجم الكبير:(9/102) برقم:(8537).
[2] (3) المصدر نفسه:(2/331).
[3] (4) الفرق بين النصيحة والتعيير:(10).

المعانــدين؛ لأن الله فصل آياته وأوضح بيناتــه، ليمــيز الحق من الباطل، ولتستبين سبيل المهتدين من ســبيل المجـــرمين، فمن عمل بهـــذا من أهل العلم، فهو من خلفاء الرسل وهداة الأمم.

ومن لبس الحق بالباطل، فلم يميز هذا من هذا، مع علمه بـذلك، وكتم الحق الـذي يعلمـه، وأمر بإظهـاره، فهو من دعـــاة جهنم، لأن النـــاس لا يقتـــدون في أمر دينهم بغـــير علمـــائهم، فاختـــاروا لأنفســـكم إحـــدى الحالتين)[1].

المبحث الثاني:

حسن القصد والاجتهاد في إدراك الحق

إن قيام الوصول إلى الحق على أصلين:

الأصل الأول: الإخلاص لله – عز وجل-.

الأصل الثاني: العلم بالحق.

---

(1) تيسير الكريم الرحمن:(50).

قـال ابن تيميـة -رحمـه اللـه-:(إن الله تعـالى بعث محمداً -ﷺ- بالهدى ودين الحق، فبالهـدى يعـرف الحـق، وبــدين الحق يقصد الخــير ويعمل بــه، فلا بد من علم بالحق، وقصد له وقدرة عليه.

والفتنة تضــــاد ذلك ; فإنها تمنع معرفـــــة الحق أو قصـده أو القـدرة عليـه، فيكـون فيها من الشـبهات ما يلبس الحق بالباطل، حتى لا يتميز لكثير من النــاس أو أكــثرهم، ويكــون فيها من الأهــواء والشــهوات ما يمنع قصد الحق وإرادته، ويكــون فيها من ظهــور قــوة الشر ما يضعف القدرة على الخير.

ولهــذا ينكر الإنســان قلبه عند الفتنــة، فــيرد على القلوب ما يمنعها من معرفة الحق وقصده.

ولهذا يقال: فتنة عمياء صماء. ويقــال: فتن كقطع الليل المظلم، ونحو ذلك من الألفاظ التي يتبين ظهــور الجهل فيها، وخفاء العلم)[1].

(والكمــال في عــدم الهــوى، وفي العلم هو لخــاتم الرسل صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه: { وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَـوَى * وَمَا يَنْطِـقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى }[النجم:1-4].

فنفى عنه الضلال، والغي، ووصفه بأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فنفى الهــوى، وأثبت العلم الكامــل، وهو الــوحي، فهــذا كمــال العلم، وذاك كمــال القصد صلى الله عليه وسلم.

ووصف أعداءه بضد هذين فقال تعالى:{ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْــوَى الأَنْفُسُ وَلَقَــدْ جَــاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُـدَى } [النجم: 23] فالكمــال المطلق للإنســان هو تكميل العبودية لله علماً، وقصداً)[2].

---

[1] (1) منهاج السنة:(4/547-548).
[2] (1) ابن تيمية: مجموع الفتاوى:(10/ 545).

والإنسان في الوصـول إلى الحـق يحتـاج إلى قصـد حسن، واجتهاد في إدراك الحق وفهمه.

قال البيهقي - رحمه الله-:(ثم انظر في كتب هؤلاء الأئمة الذين قاموا بعلم الشريعة، وبـنى كل واحد منهم مذهبه على مبلغ علمه من الكتـاب والسـنة، فـأرى كل واحد منهم -رضي الله عنهم جميعهم- قَصَدَ قَصْد الحق فيما تكلف واجتهد في أداء ما كلف.

وقد وعد رسول الله -ﷺ- في حديث صحيح عنه لمن اجتهد فأصاب أجرين، ولمن اجتهد فأخطأ أجـراً واحـداً، ولا يكون الأجر على الخطـأ، وإنما يكـون على ما تكلف من الاجتهـــــــاد، ويرفع عنه إثم الخطأ بأنه إنما كلف الاجتهاد في الحكم على الظاهر دون البـاطن، ولا يعلم الغيب إلا الله عز وجــل، وقد نظر في القيــاس فــأداه القياس إلى غير ما أدى إليه صاحبه كما يؤديه الاجتهـاد في القبلة إلى غــير ما يــؤدي إليه صــاحبه، فلا يكــون المخطئ منهما عين المطلــوب بالاجتهــاد مــأخوذا إن شاء الله بالخطأ، ويكـون مـأجورا إن شـاء الله على ما تكلف من الاجتهاد.

ونحن نرجو أن لا يؤخذ على واحد منهم أنه خـــالف كتاباً نصاً، ولا سنةً قائمةً، ولا جماعةً، ولا قياساً صحيحا عنـده، ولكن قد يجهل الرجل السـنة، فيكـون له قـول يخالفها لا أنه عمد خلافهــا، وقد يغفل المـــرء ويخطئ في التأويل، وهذا كله مأخوذ من قـول الشـافعي رحمه الله ومعناه .

قال الشـيخ أحمد: والـذي يـدل على هـذا أني رأيت كل من له من هؤلاء الأئمة -رحمهم الله- قـول يخـالف سنة أو أثـراً، فله أقـوال توافق سـنناً وآثـاراً، فلـولا أنه غفل عن الحــديث الــذي خالفــه، أو عن موضع الحجة

منـه، أو من الكتـاب لقـال به إن شـاء الله كما قـال بأمثاله) [1].

فصحة القصد، وحسـن الفهم بهمـا الأمن من الزيـغ والضـلال، يقـول ابن القيم -رحمـه اللـه-:(صـحة الفهم، وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده، بل ما أعطي عبد عطاء بعد الإسـلام أفضل ولا أجل منهما، بل هما ساقا الإسلام، وقيامه عليهما.

وبهما يـأمن العبد طريق المغضـوب عليهم الـذين فسد قصدهم وطريق الضالين الذين فسدت فهـومهم، ويصـير من المنعم عليهم الـذين حسـنت أفهـامهم وقصـودهم، وهم أهل الصـراط المسـتقيم الـذين أمرنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة.

وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد، يميز به بين الصـحيح والفاسـد، والحق والباطـل، والهـدى والضلال، والغي والرشاد.

ويمده حسن القصد، وتحـري الحـق، وتقـوى الـرب في السر والعلانيـة، ويقطع مادته اتبـاع الهـوى، وإيثـار الدنيا، وطلب محمدة الخلق، وترك التقوى)[2].

ولا بد من اجتماعهما.

ذلك أنه لا صحة للاعتقـاد ولا سـلامة للفكـر بمجـرد الإخلاص، بـل لا بـد أن يقـترن بالسـداد وإصـابة الحـق الذي جاء به الـوحي مـع الإخلاص؛ لأن حقيقـة الإخلاص في العلم والبحث والنظـر يكـون بإسـلام الوجـه للـه، وإخلاص القصد له، والأخذ عن الـوحي دون مـا سـواه، والتعلم وطلب الحـق بالفعـل بتلقيـه من مصـادره الصحيحة وإلا ففي الخلق ممن قصد الحـق وتجـرد لـه بزعمه، بل ربما قدّم نفسه فمات في سبيل ذلك، وهـو

---

[1] (1) معرفة السنن والآثار:(1/209).
[2] (2) إعلام الموقعين:(1/87).

من أعظم الناس ضـلالاً، فـإخلاص القصـد لا يغـني عن سداد العمل.

واعتبر ذلك في الديانات بالنصرانية، فإن فيهم تعبداً لله، ولكنه تعبـد على غـير علم، ولـذلك سـماهم اللـه - ومن على شاكلتهم- في القرآن العظيم:(بالضالين).

يقـول ابن تيميـة - رحمـه اللـه- في تفسـير قولـه تعالى:{ غَيرِ المَغضُوبِ علَيهِم ولا الضـالّين }[الفاتحـة: 7] قـال:(اليهـود عرفـوا الحق ولم يتبعـوه، والنصـارى عبدوا الله بغير علم، ولهذا كان يقال: تعــوذوا بالله من فتنة العــالم الفــاجر، والعابد الجاهل فــإن فتنتهما فتنة لكل مفتون) [(1)].

فـآفتهم الكـبرى في جهلهم لا في عـدوانهم وبغيهم وظلمهم.

يقـول شـيخ الإسـلام ابن تيميـة -رحمـه اللـه- عن اليهود والنصـارى:(اليهـود يعرفـون الحق كما يعرفـون أبنـاءهم، ولا يتبعونه لما فيهم من الكـبر والحسد الـذي يوجب بغض الحق ومعاداته.

والنصــارى لهم عبــادة، وفي قلــوبهم رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها، لكن بلا علم فهم ضلال.

هؤلاء لهم معرفة بلا قصد صحيح، وهــؤلاء لهم قصد في الخير بلا معرفة له.

وينضم إلى ذلك الظن واتبــاع الهــوى؛ فلا يبقى في الحقيقة معرفة نافعة؛ ولا قصد نافع، بل يكون كما قال تعالى عن مشركي أهل الكتاب:{ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْــمَعُ أَوْ نَعْقِــلُ مَا كُنَّا فِي أَصْــحَابِ السَّــعِيرِ }[الملك: 10] وقال تعالى:{ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُــوبٌ لا يَفْقَهُــونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِــرُونَ بِهَا

---

[1](1) مجموع الفتاوى:(3/ 127).

وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ }[الأعراف:179]) [2].

وقال -رحمه الله-:(كان النصارى أخص بالضلال من اليهود، ووجه تكرار هذا الضلال أن الضلال قد أخطأ نفس مقصوده، فيكون ضالاً فيه، فيقصد ما لا ينبغي أن يقصده، ويعبد من لا ينبغي أن يعبده، وقد يصيب مقصوداً حقاً لكن يضل في طريق طلبة، والسبيل الموصلة إليه فالأول ضلال في الغاية، والثاني ضلال في الوسيلة، ثم إذا دعا غيره إلى ذلك فقد أضله.

وأسلاف النصارى اجتمعت لهم الأنواع الثلاثة:

فضلوا عن مقصودهم، حيث لم يصيبوه وزعموا أن إلههم بشر يأكل ويشرب ويبكي، وأنه قتل وصلب وصفع، فهذا ضلال في نفس المقصود حيث لم يظفروا به.

وضلوا عن السبيل الموصلة إليه، فلا اهتدوا إلى المطلوب، ولا إلى الطريق الموصل إليه.

ودعوا أتباعهم إلى ذلك فضلوا عن الحق وعن طريقه، وأضلوا كثيرا فكانوا أدخل في الضلال من اليهود، فوصفوا بأخص الوصفين.

والذي يحقق ذلك أن اليهود إنما أتوا من فساد الإرادة والحسد، وإيثار ما كان لهم على قومهم من السحت والرياسة، فخافوا أن يذهب بالإسلام فلم يؤتوا من عدم العلم بالحق، فإنهم كانوا يعرفون أن محمداً رسول الله كما يعرفون أبناءهم، ولهذا لم يوبخهم الله تعالى ويقرعهم إلا بإراداتهم الفاسدة من الكبر والحسد، وإيثار السحت والبغي، وقتل الأنبياء.

---

[2](1) المصدر السابق:(7/ 528- 529).

ووبخ النصـارى بالضـلال، والجهل الـذي هو عـدم العلم بالحق.

فالشـقاء والكفر ينشأ من عـدم معرفة الحق تـارة، ومن عدم إرادته والعمل بها أخرى يتركب منها.

فكفر اليهـود نشأ من عـدم إرادة الحق والعمل بـه، وإيثار غير عليه بعد معرفته فلم يكن ضلالاً محضاً.

وكفر النصــارى نشأ من جهلهم بــالحق، وضــلالهم فيـه، فـإذا تـبين لهم وآثـروا الباطل عليه أشـبهوا الأمة الغضبية، وبقوا مغضوباً عليهم ضالين.

ثم لما كان الهدى والفلاح، والسعادة لا سـبيل إلى نيله إلا بمعرفة الحق، وإيثاره على غـيره، وكـان الجهل يمنع العبد من معرفته بـالحق، والبغي يمنعه من إرادته كـان العبد أحـوج شـيء إلى أن يسـأل الله تعـالى كل وقت أن يهديه الصــراط المســتقيم تعريفــاً وبيانــاً، وإرشاداً وإلهامـاً، وتوفيقـاً وإعانـةً، فيعلمه ويعرفـه، ثم يجعله مريــداً له قاصــداً لاتباعــه، فيخــرج بــذلك عن طريقة المغضــوب عليهم الــذين عــدلوا عنه على عمد وعلم، والضالين الذين عدلوا عنه عن جهل وضلال.

كان السلف يقولون:(من فسد من علمائنـا: ففيه شبه من اليهـود، ومن فسد من عبادنـا: ففيه شـبه من النصارى).

وهذا كما قالوا، فإن من فسد من العلماء فاستعمل أخلاق اليهـود من تحريف الكلم عن مواضـعه، وكتمـان ما أنزل الله إذا كان فيه فوات غرضه، وحسد من آتــاه الله من فضــله، وطلب قتلــه، وقتل الــذين يــأمرون بالقسط من النـاس ويـدعونهم إلى كتـاب ربهم وسـنة نبيهم إلى غير ذلك من الأخلاق الـتي ذم بها اليهـود من الكفر واللّي، والكتمــــان والتحريــــف، والتحيل على

المحارم، وتلبيس الحق بالباطل، فهذا شبهه باليهود ظاهر.

وأما من فسد من العباد، فعبد الله بمقتضى هواه لا بما بعث به رسوله، وغلا في الشيوخ فأنزلهم منزلة الربوبية، وجاوز ذلك إلى نوع من الحلول، أو الاتحاد فشبهه بالنصارى ظاهر.

فعلى المسلم أن يبعد من هذين الشبهين غاية البعد، ومن تصور الشبهين والوصفين، وعلم أحوال الخلق، علم ضرورته وفاقته إلى هذا الدعاء الذي ليس للعبد دعاء أنفع منه، ولا أوجب منه عليه، وأن حاجته إليه أعظم من حاجته إلى الحياة والنفس؛ لأن غاية ما يقدر بفوتهما موته، وهذا يحصل له بفوته شقاوة الأبد، فنسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين، آمين إنه قريب مجيب)[1].

ولئن كان ذلك فرقاً بين أهل الإسلام وغيرهم من أهل الكتاب، فإنه أيضاً فرق ما بين أهل العلم، وأهل الأهواء.

قال ابن تيمية -رحمه الله-:(وسبب الفرق بين أهل العلم، وأهل الأهواء مع وجود الاختلاف في قول كل منهما:

أن العالم قد فعل ما أمر به من حسن القصد والاجتهاد، وهو مأمور في الظاهر باعتقاد ما قام عنده دليله، وإن لم يكن مطابقا لكن اعتقادا ليس بيقيني، كما يؤمر الحاكم بتصديق الشاهدين ذوي العدل، وإن كانا في الباطن قد أخطأ أو كذبا، وكما يؤمر المفتي بتصديق المخبر العدل الضابط، أو باتباع الظاهر، فيعتقد ما دل عليه ذلك، وإن لم يكن ذلك الاعتقاد

---

[1] (1) بدائع الفوائد:(2/267-269).

مطابقاً، فالاعتقاد المطلوب هو الـذي يغلب على الظن مما يؤمر به العباد، وإن كان قد يكون غير مطابق، وإن لم يكونـوا مـأمورين في البـاطن باعتقـاد غـير مطـابق قط.

فإذا اعتقد العالم اعتقادين متناقضين في قضية، أو قضـيتين مع قصـده للحـق، واتباعه لما أمر باتباعه من الكتـــاب والحكمـــة، عـــذر بما لم يعلمـــه، وهو الخطأ المرفوع عنا.

بخلاف أصحاب الأهواء فإنهم { إِنْ يَتَّبِعُـونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ } [النجم:23] ويجزمون بما يقولونه بـالظن والهـوى جزمـاً لا يقبل النقيض، مع عـدم العلم بجزمه فيعتقـدون ما لم يـؤمروا باعتقـاده لا باطنـاً ولا ظـاهراً، ويقصـدون ما لم يـؤمروا بقصـده، ويجتهـدون اجتهـاداً لم يـؤمروا بـه، فلم يصـدر عنهم من الاجتهـاد، والقصد ما يقتضي مغفـــرة ما لم يعلمـــوه، فكـــانوا ظـالمين شـبيهاً بالمغضـوب عليهم، أو جـاهلين شـبيهاً بالضالين.

فالمجتهد الاجتهاد العلمي المحض ليس له غـرض سـوى الحـق، وقد سـلك طريقـه، وأما متبع الهـوى المحض، فهو من يعلم الحق، ويعاند عنه.

وثم قسم آخر وهم غالب الناس، وهو أن يكون له هـوى وله في الأمر الـذي قصد إليه شـبهة، فتجتمع الشـهوة والشـبهة، ولهـذا جـاء في حـديث مرسل عن النبي-ﷺ- أنه قـال:" إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات، ويحب العقل الكامل عند حلول الشهوات ".

فالمجتهد المحض مغفـور له أو مـأجور، وصـاحب الهـوى المحض مسـتوجب للعـذاب، وأما المجتهد الاجتهاد المركب على شبهة وهوى، فهو مسيء.

وهم في ذلك درجـــــات بحسب ما يغلب، وبحسب الحسنات الماحية، وأكثر المتأخرين من المنتسبين إلى فقه، أو تصوف مبتلون بذلك)[1].

وحتى لو كان عند صاحب الهـوى دليـل فـإن أخـذه للدليل جاء على سبيل استخدام الـدليل ليوافـق هـواه، فأهل السنة يأخذون الدليل مأخذ الافتقار، وأهل البدعة يأخذون النص مأخذ الاعتبار.

قال الشـاطبي-رحمـه اللـه-:(فـاعلم أن أخذ الأدلة على الأحكام يقع في الوجود على وجهين:

أحدهما: أن يؤخذ الدليل مأخذ الافتقـار واقتبـاس ما تضمنه من الحكم ليعرض عليه النازلة المفروضة؛ لتقع في الوجود على وفاق ما أعطى الدليل من الحكم، أما قبل وقوعها؛ فبأن توقع على وفقـه، وأما بعد وقوعهـا؛ فليتلافى الأمــر، ويســتدرك الخطأ الواقع فيهــا، بحيث يغلب على الظن أو يقطع بأن ذلك قصد الشارع، وهـذا الوجه هو شـأن اقتبـاس السـلف الصـالح الأحكـام من الأدلة.

والثــــاني: أن يؤخذ مأخذ الاســـتظهار على صـــحة غرضه في النازلة العارضـة، أن يظهر في بـادئ الـرأي موافقة ذلك الغــــرض للــــدليل من غــــير تحر لقصد الشـــارع، بل المقصـــود منه تنزيل الـــدليل على وفق غرضه، وهذا الوجه هو شأن اقتباس الـزائغين الأحكـام من الأدلة)[2].

وقال -رحمه الله- أيضاً:(من أسباب الخلاف: اتبــاع الهـوى، ولـذلك سـمي أهل البـدع أهل الأهـواء، لأنهم اتبعـــوا أهـــواءهم فلم يأخـــذوا الأدلة الشـــرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليهـا، حـتى يصـدروا عنهـا، بل

---

[1] (1) القواعد النورانية:(151-152).

[2] (1) الموافقات:(3/ 290).

قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلـوا الأدلة الشرعية منظورا فيها من وراء ذلك.

وأكثر هؤلاء هم أهل التحسـين والتقـبيح، ومن مـال إلى جانبهم من الفلاسفة وغيرهم.

ويدخل في غمارهم من كان منهم يغشى السلاطين لنيل ما عنــدهم، أو طلبا للرياســة، فلا بد أن يميل مع الناس بهواهم، ويتأول عليهم فيما أرادوا، حسبما ذكـره العلماء ونقله الثقات من مصاحبي السلاطين) [1].

[1](2) الاعتصام:(3/ 102).

إن الجمع بين الأمرين:

إخلاص القصـد، والاجتهـاد في درك الحـق، جهـادٌ في سبيل الله؛ لأن المجاهد اجتمع في حقه: كمال القصـد، وكمال العمل المبني على العلم.

قـال ابن تيميـة -رحمـه اللـه-:(فالمجتهد في تحصـيل محبوبه ودفع مكروهـــه، هو المجاهد في ســبيله، وهو الــذي اســتفرغ وُسْــعَه في ذلك حــتى جاهد أعــداءه الظاهرين والبـاطنيين، فيجتمع في المجاهد في سـبيله شيئان: كمال القصد، وكمال العمل.

فالأول: أن مقصوده هو الله، فهو معبوده ومحبوبه.

والثـــاني: أنه يســـتفرغ مقـــدوره في تحصـــيل هـــذا المقصود.

فهذا يُهدَى سُبُلَ الله.

وهذا مجرب في سائر المحبوبات، فكل من أحب شـيئًا محبة شـــديدة ولَّد له شـــدةُ المحبة طُـــرقَ تحصـــيل المحبوب، وطُرقَ المعرفة به.

وكـذلك من أبغض شـيئًا بغضًـا شـديدًا، ولَّد لـهُ شـدةُ البغضِ طُـرُقَ دفعه وإزالتـه، ولهـذا يُقـال: الحبُّ يَفتِـقُ الحيلـة، كما يُقـال: الحاجة تَفِتـقُ الحيلة. فـإن المحتـاج محبّ لما احتاج إليه محبةً شديدة.

وإنما يُوقع النفـوسَ في القبـائح الجهـلُ والحاجـةُ، فأما العـالم بقبح القـبيح الغـني عنه فلا يفعلـه، قـال الله تعـالى:{ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْـهِ مَنْ يَشَـاءُ وَيَهْـدِي إِلَيْـهِ مَنْ يُنِيبُ }[الشورى:13].

وقد قال في ضد هـؤلاء:{ وَلَا تَتَّبِـعِ الْهَـوَى فَيُضِـلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَـبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَـذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ }[ص:13].

فبيّن أن اتباع الهوى يُضلّ عن سبيل اللـه، فمن اتبع ما تهواه نفسه أضلّ عن سبيل الله، فإنه لا يكـون الله هو المقصود، ولا المقصود الحق الذي يوصل إلى اللـه، فلا قَصَد الحق، ولا ما يوصل إلى الحق، بل قصد ما يهـواه من حيث هو يهـــواه، فتكـــون نفسه في الحقيقة هي مقصوده، فيكون كأنه يعبد نفسه، ومن يعبد نفسه فقد ضلّ عن سبيل الله قطعًا..

وقد قـــال عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه-: لا تكن ممن يتبع الحـــقَّ إذا وافق هـــواه، ويخالفه إذا خـــالف هواه.

فإذن هو لا يثـاب على ما اتبعه من الحـق، ويعـاقب على ما اتبعه من الباطـــل، وذلك لأنه يكـــون إنما اتبع هواه في الموضعين، لم يتَّبع الحق لأنه حق.

فلما كان اتباع الهوى يُضِلُّ عن سبيل الله أخبر بـأن الضلال مع اتباع الهوى في غير موضع من كتابه، كقوله تعـالى:{ وَمَنْ أَضَـلُّ مِمَّنِ اتَّبَـعَ هَـوَاهُ بِغَيْـرِ هُـدًى مِنَ اللَّهِ } [القصص:50] وقوله:{ وَإِنَّ كَثِـيرًا لَيُضِـلُّونَ بِـأَهْوَائِهِمْ بِغَيْـرِ عِلْمٍ } [الأنعـام:119] وقوله: { وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ }[المائدة:77] وقال: { أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً } [الجاثية:23].

كما أخبر أن الهدى مع السنة التي هي اتباع سـبيله، كقوله: { وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَـدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذًا لَآتَيْنَـاهُمْ مِنْ لَـدُنَّا أَجْـرًا عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا } [النساء: 66-68] وقـال تعـالى: { وَإِنْ تُطِيعُـوهُ تَهْتَـدُوا } [النـور:54] وقوله:{ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ }[الشـورى:13] وقوله:{ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا }[العنكبوت: 69]) [1].

---

[1](1) جامع المسائل:(142-145).

وإذا حسن القصد، فسعى الإنسان لإدراك الحق فإن سعيه لا يخلو من أمرين:

1- اجتهاد سائغ شرعاً لمن بلغ درجة الاجتهاد.

2- تقليد لعالم شرع موثوق في دين وعلمه لمن لم يبلغ درجة الاجتهاد.

وتوافر أحد هذين الأمرين دليل على صحة السعي للحق وخلوه من اتباع الهوى؛ ذلك أن متبعي الحق يفعلون ما يؤمرون به من حسن القصد والاجتهاد لمن قدر عليه، أو التقليد لمن لم يقدر على الاجتهاد، حيث يقلد الموثوق في دينه وعلمه، فكلهم ساعٍ إلى الحق بحسب طوقه وقدرته، ومن ثم أخذ في العمل بما توصل إليه من الحق.

وبعكس ذلك أهل الأهواء، فإنهم{ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ } [النجم:23].

ويجزمون بما يقولن بالظن لا بالعلم، وبالهوى لا بالإخلاص، فيعتقدون ما لم يؤمروا باعتقاده، ويقصدون ما لم يؤمروا بقصده، ويجتهدون اجتهاداً غير مأذون فيه، أو يقلدون معظمهم تقليداً غير سائغ شرعاً، وهم بذلك مسيؤون متعرضون لعذاب الله، مع العلم أنه قد يقترن بالهوى شبهة فيصبح حقيقياً بوصف الإساءة أيضاً[(1)].

فإذا لم يصب الحق، فهو مأجور؛ لإرادته الحق، واجتهاده في دركه، وعلى ذلك كان أهل الإيمان مهما وصل اختلافهم.

قال ابن خلدون -رحمه الله-:(ولما وقعت الفتنة بين علي ومعاوية وهي مقتضى العصبية كان طريقهم فيها الحق والاجتهاد، ولم يكونوا في محاربتهم لغرض

[1](1) ينظر: ابن تيمية: الفتاوى:(29/43).

دنيوي، أو لإيثار باطل، أو لاستشعار حقد، كما قد يتوهمه متوهم وينزع إليه ملحد.

وإنما اختلف اجتهادهم في الحق وسفه كل واحد نظر صاحبه باجتهاد في الحق فاقتتلوا عليه. وإن كان المصيب علياً فلم يكن معاوية قائماً فيها بقصد الباطل، إنما قصد الحق وأخطأ. والكل كانوا في مقاصدهم على حق.

ثم اقتضت طبيعة الملك الانفراد بالمجد، واستئثار الواحد به.

ولم يكن لمعاوية أن يدفع ذلك عن نفسه وقومه فهو أمر طبيعي ساقته العصبية بطبيعتها، واستشعرته بنو أمية، ومن لم يكن على طريقة معاوية في اقتفاء الحق من أتباعهم فاعصوصبوا عليه، واستماتوا دونه.

ولم حملهم معاوية على غير تلك الطريقة، وخالفهم في الانفراد بالأمر لوقع في افتراق الكلمة التي كان جمعها وتأليفها أهم عليه من أمر ليس وراءه كبير مخالفة)[1].

وكثيراً ما كان العلماء في تراجمهم يقولون:(فكل من قصد الحق من هذه الأمة فالله يغفر له، أعاذنا الله من الهوى والنفس)[2].

قال ابن تيمية -رحمه الله-:(وقد كان النبي -ﷺ- يقول في الحديث الصحيح في خطبة يوم الجمعة:" خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد -ﷺ- وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ".

ولم يقل: وكل ضلالة في النار، بل يضل عن الحق من قصد الحق، وقد اجتهد في طلبه فعجز عنه، فلا يعاقب، وقد يفعل بعض ما أمر به، فيكون له أجر على

---

[1] (1) المقدمة:(1/257).
[2] (2) الذهبي: سير أعلام النبلاء:(16/76).

اجتهاده وخطؤه الذي ضل فيه عن حقيقة الأمر مغفـور له .

وكثير من مجتهدي السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة، ولم يعلمـوا أنه بدعة إما لأحـاديث ضعيفة ظنوها صحيحة، وإما لآيات فهموا منها ما لم يـرد منهـا، وإما لرأي رأوه وفي المسألة نصوص لم تبلغهم) [1].

وإنمـا أردت في هـذا البحث على وجـوه الخصـوص بيان الأصل الأول وهو الإخلاص للـه - عـز وجـل- الـذي هو:(سلامة القصد).

وسأذكر هنـا جملـة من الأوصـاف المضـادة لحسـن القصد، والمنازعة له.

المبحث الثالث

الإخلاص لله - عز وجل-

إن إصـلاح القصـد، أسـاس لقبـول الأعمـال عند الله – سـبحانه- والمخلص يعينه الله على الوصـول للحـق، ويهيئ له القبول، فتثمر أعماله ثمـرات جليلـة، ولـذلك جاء الأمر بالإخلاص في قول الله – عزَّ وجلَّ-: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ [البينة:5].

فالـــدين كله مـــداره على الإخلاص، وهو أن يقصد العبد وجه الله بأقواله واعتقاداته وأعمالــه، فلا يشـرك معه أحداً، ويقصد الوصـول إلى الحـق، وإيصـال الخلق إليه، وإعلاء كلمة الله في الأرض.

وعلى الإخلاص جـــرى الأنبيــــاء والصــــالحون، والمقدمون في الأمة.

والإخلاص أساس الحنيفية، يقـول الله – عـزَّ وجـلَّ- مبينـــاً أن الإخلاص يكـــون في الأمر كلــه، وأنه الأمر

[1] (3) الفتاوى:(19/ 192).

الفصل بين أهل الحق، وأهل الباطل يقول سبحانه: ﭽ
ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ [البقرة: 139].

فجاء ذكر الإخلاص في سياق المجادلة والمحاجة وهي إنما تتعلق بالمسائل الخلافية، حتى يكون كل من الخصمين يريد نصرة قوله، وإبطال قول خصمه.

وهي هنا مع أهل الكتاب الذين يزعمون أنهم أولى بالله من المسلمين، وهذا مجرد دعوى، تفتقر إلى برهان ودليل، فإذا كان رب الجميع واحداً، ليس رباً لكم دوننا، وكل منا ومنكم له عمله، فاستوينا نحن وإياكم بذلك.

فهذا لا يوجب أن يكون أحد الفريقين أولى بالله من غيره؛ لأن التفريق مع الاشتراك في الشيء، من غير فرق مؤثر، دعوى باطلة، وتفريق بين متماثلين، ومكابرة ظاهرة.

وإنما يحصل التفضيل، بالإخلاص لله وحده، وهذا الإخلاص وصف به المؤمنين وحدهم، فتعين أنهم أولى بالله من غيرهم؛ لأن الإخلاص، هو الطريق إلى الخلاص، فهذا هو الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، بالأوصاف الحقيقية التي يسلمها أهل العقول، ولا ينازع فيها إلا كل مكابر جهول، ففي هذه الآية، إرشاد لطيف لطريق المحاجة، وأن الأمور مبنية على الجمع بين المتماثلين، والفرق بين المختلفين(1).

إن الإخلاص لله تعالى في البحث عن الحقائق ناتج عن العلم بالله { وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ } وأنه العالم بكل شيء.

الذي لا يحد علمه شيء، المحيط علمه بكل شيء، والعلم البشري محدود، فيطلب العلم بالحق من الله

(1) انظر: ابن سعدي: تيسير الكريم الرحمن:(69).

{ سُــــــبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ }[البقرة:32].

فبما أنـه الـرب المعبـود العليم، فحالنـا { وَنَحْنُ لَـهُ مُخْلِصُونَ }[البقرة: 139].

وذكـــــر { رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ } في مقابــــل {وَنَحْنُ لَـــهُ مُخْلِصُونَ} دلالة على أن أهل الحق اختصـوا بـالإخلاص لله - عز وجل- في طلب الحق.

خاصـة في مـواطن الـنزاع والخلاف { فَـرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِـكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً }[النساء:59].

وفي دعــاء النـبي-ﷺ-:" اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإســرافيل، فــاطر الســموات والأرض، عــالم الغيب والشـــهادة، أنت تحكم بين عبـــادك فيما كـــانوا فيه يختلفـون، اهـدني لما اختلف فيه من الحق بإذنـك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم "[1].

ويقول– عزَّ وجلَّ-: ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃﮄ ﭼ [الزمر : 3].

قال ابن كثير – رحمه الله-:(أي: لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله، وحده لا شريك له .

وقال قتادة في قوله: { ﮀ ﮁ ﮂ ﮃﮄ } شهادة أن لا إله إلا الله)[2].

وقد بينت الســـنة أن مـــدار الأمر على النية ففي الحـــديث عن عمر بن الخطـــاب - رضي الله عنه- قــال: ســمعت رســول الله -ﷺ- يقــول:" إنما الأعمـال بالنيات، وإنما لكل امـرىء ما نـوى، فمن كـانت هجرته إلى دنيا يصــيبها، أو إلى امــرأة ينكحها، فهجرته إلى ما جاهر إليه "[3].

---

[1] (1) أخرجه مسلم:(304) برقم:(770).
[2] (2) تفسير القرآن العظيم:(7/84).
[3] (3) أخرجه البخاري:(21) برقم:(1) ومسلم:(792) برقم:(1907).

ومن هذا العموم - في حـديث عمـر - إلى خصـوص في أمر العلم، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه- قـال: سمعت رسـول الله -ﷺ- يقـول:" إن أول النـاس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فـأتى به فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك؛ حـتى استشـهدت. قـال: كـذبت، ولكنك قـاتلت؛ لأن يقـال: جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسـحب على وجهه؛ حـتى ألقي في النار.

ورجل تعلم العلم، وعلمه، وقـرأ القـرآن، فـأتي به فعرفه نعمه، فعرفها، قـــال: فما عملت فيها؟ قـــال: تعلمت العلم، وعلمته، وقـــرأت فيك القـــرآن. قـــال: كـذبت، ولكنك تعلمت العلم؛ ليقـال: عـالم، وقـرأت القرآن؛ ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثمَّ أمر به، فسـحب على وجهه؛ حتى ألقي في النار.

ورجل وسع الله عليه وأعطـاه من أصـناف المـال كله، فـأتى به، فعرفه نعمه، فعرفها، قـال: فما عملت فيها؟ قـال: ما تـركت من سـبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كـذبت، ولكنك فعلت؛ ليقـال: هو جـــواد، فقد قيل، ثمَّ أمر به فســـحب على وجهه، ثم ألقي في النار "[1].

قـال ابن رجب – رحمـه اللـه-:(إن معاوية لما بلغه هذا الحديث، بكى حـتى غشي عليـه، فلما أفـاق، قـال: صدق الله ورسوله، قال الله - عز وجل -: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ [هود : 15-16])[2].

وعن أبي هريـــــرة - رضي الله عنه - عن النَّبي -ﷺ- قـــال:" من تعلَّم علمـــاً مما يُبتَغى به وجه الله – عـــز

(1) أخرجه مسلم:(791) برقم:(1905).
(2) جامع العلوم والحكم:(1/77).

وجل- لا يتعلَّمُه إلاَّ ليصيب به عرضاً من الـدُّنيا، لم يجد عَرْفَ الجنَّة - يعني: ريحها- يوم القيامة "[1].

وعن كعب بن مالك – رضي الله عنه- عن النَّبيِّ -ﷺ- قال:" من طلب العلم ليُجاري به العُلماء، أو ليُمارِي به السُّـفهَاء، أو يَصـرِفَ به وجـوه النَّاس إليـه، أدخله الله النَّار "[2].

قال المباركفوري - رحمه الله- :(" من طلب العلم " أي: لا لله بل " ليجاري به العلماء " أي: يجـري معهم في المنـاظرة والجـدال؛ ليظهر علمه في النـاس ريـاءً وسمعه كذا في المجمع.

" أو ليماري به السـفهاء " جمع السـفيه: وهو قليل العقــل، والمــراد به: الجاهل أي: ليجــادل به الجهــال، والمماراة من المريـة، وهي الشـك، فـإن كل واحد من المتحاجين يشك فيما يقول صاحبه، ويشككه مما يـورد على حجته، أو من المرى وهو مسح الحـالب ليسـتنزل ما به من اللبن، فـإن كلا من المتنـاظرين يسـتخرج ما عند صـاحبه كـذا حققه الطيـبي " ويصـرف به وجـوه النـاس إليه " أي: يطلبه بنية تحصـيل المـال والجـاه: وإقبال العامة عليه)[3].

وقد أشار الجويني في غيـاث الأمم إلى هـذا فقـال: (عمَّ من الـــولاة جورها واشـــتطاطها، وزال تصـــون العلمــاء احتياطها وظهر ارتباكها في جــراثيم الحطــام واختباطهـــا، وانسل عن لجـــام التقـــوى رؤس الملة وأوساطها، وكثر انتماء القـراء إلى الظلمة واختلاطهـا،

---

[1] (3) أخرجــه: أبو داود:(405) بــرقم:(3664) وابن ماجــة:(42) بــرقم:(252) أحمد:(14/ 169) برقم: (8457) وقال محققه شعيب الأرنؤوط:(إسناده حسن).

[2] (4) أخرجه الترمــذي:(430) بــرقم:(2654) وابن ماجــة:(42) بــرقم:(253).

[3] (1) تحفة الأحوذي:(7/346).

فهل ينظـــرون إلا الســـاعة ان تـــأتيهم بغتة فقد جـــاء أشراطها.

فـإن وجـدت للـدين معتضـداً، وألفيت للإسـلام منتصراً، بعـدما درست أعلامه وآذنت بالانصـرام أيامـه، كنت كمن يمهد لرجاء الحق، مقر القطب، ويضع الهناء مواضع النقب)[1].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه- أن رسـول الله -ﷺ- كـان يـدعو يقـول: " اللهم إني أعـوذ بك من الشقاق، والنفاق، وسوء الأخلاق "[2].

قـال ملا علي القـاري – رحمـه اللـه-:(" اللهم إني أعـــوذ بك من الشـــقاق " أي: من مخالفة الحق، ومنه قوله تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ [ص:2].

وقول الطيبي: الشقاق العداوة، ومنه قوله تعالى:{ ﭜ ﭝ ﭞ } لا يخفي عن بعد، وأبعد من ذلك قول ابن حجر: قيل في معنى الشـقاق الخلاف والعـداوة، وفيه نظر لأن المراد بالأول المذموم، وبالثاني من ذلك قول ابن حجر قيل: في معـنى الشـقاق الخلاف والعـداوة، وفيه نظر لأن المراد بالأول المذموم، وبالثاني العـداوة لأهل الحق وحينئذ فهما قول واحد لا قولان ا هـ .

ولا يخفي أن المخالفة مصـــورة بـــدون العـــداوة، والعـــداوة قد توجد بـــدون المخالفة، وغايته أن المـــراد هنا: عداوة أهل الحق أعم أن تقع الصـورية أم لا، ومن الخلاف مخالفة الحق وهو ظـاهر المغـايرة، أو مخالفة أهل الحق، ولا يلـــزم منها العـــداوة ألا تـــرى إلى أبي طـالب كـان يخـالف النـبي-ﷺ- ولم يكن يعاديه، بل كـان يـدافع عنه ويحاميه، والنـاس كلهم يعـادون الشـيطان وغـالبهم ما يخالفونه، وقيل: الخلاف والعـداوة؛ لأن كلا

---

[1] (2) غياث الأمم:(12-13).
[2] (3) أخرجه أبو داود:(183) بـــرقم:(1546) والنســـائي:(555) بـــرقم:(5471).

من المتعاديين يكون في شق أي ناحية، أو يريد مشقة الآخر)[1].

ومن ذلك قوله سبحانه: ﭽ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﭼ [الأنفال:13].

وقوله سبحانه: ﭽ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ [النساء: 115].

قال ابن كثير – رحمه الله-:(أي: ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول -ﷺ- فصار في شق، والشرع في شق، وذلك عن عَمْد منه بعدما ظهر له الحق وتبين له واتضح له)[2].

إن الإخلاص لله - عز وجل- يجمع شمل العبد بحيث يكون أمره كله لله.

وأما من فقد الإخلاص فقد تشعبت به الأهواء، وشتت شمله، ولذا فإن الله – عز وجل- جعل تحكيم الهوى مقابلاً لتحكيم الشرع: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ [المائدة:49].

قال ابن تيمية – رحمه الله-:(ولهذا كان من خرج عن موجب الكتاب والسنة من العلماء والعباد يجعل من أهل الأهواء ؛ كما كان السلف يسمونهم أهل الأهواء وذلك إن كل من لم يتبع العلم فقد اتبع هواه والعلم بالدين لا يكون إلا بهدى الله الذي بعث به رسوله -ﷺ-)[3].

---

[1] (1) مرقاة المفاتيح:(8/367-368).
[2] (2) تفسير القرآن العظيم:(2/412).
[3] (1) الفتاوى:(28/133).

إن المنحرفين في الاعتقاد والفكر أصناف:

- منهم صنف قدموا عقولهم على الشرع، وهم: أهل التحسين والتقبيح ومن مال إلى الفلاسفة.

- وصنف قدموا حظوظهم الدنيوية لنيل رئاسة أو حظوة عند ذي سلطان.

فالأولون: ردوا كثيراً من الأحاديث الصحيحة بعقولهم.

والآخرون: خرجوا عن الجادة حرصاً على إفادة ولي لهم، أو الغلبة على عدو، أو جر النفع للنفس[1].

وهؤلاء كلهم ابتلوا بسوء القصد، وسوء القصد إذا ابتلي به الإنسان انحدر به إلى منحدرات صعبة، فتراه لا يقف شيء أمامه إلا وأبعده؛ ليوافق مقصدة وهواه، فهو يؤول كل شيء ليوافق ذلك المقصد والهوى، وصاحب هذه البلية من أشد الناس تأويلاً.

يقول ابن القيم -رحمه الله- وهو يذكر أصناف المتأولين :(وأعظمهم توغلاً في التأويل الباطل من فسد قصده وفهمه، فكلما ساء قصده وقصر فهمه كان تأويله أشد انحرافاً.

فمنهم من يكون تأويله لنوع هوى من غير شبهة، بل يكون على بصيرة من الحق، ومنهم من يكون تأويله لنوع شبهة عرضت له أخفت عليه الحق.

ومنهم من يكون تأويله لنوع هدى من غير شبهة بل يكون على بصيرة من الحق ومنهم من يجتمع له الأمران الهوى في القصد والشبهة في العلم) [2] .

ومن سوء القصد نشأت كثير من المذاهب الفاسدة؛ ولهذا لما كانت مقاصد الصحابة سليمة لم ينشأ فيهم شيء من تلك المذاهب الفاسد الرَّدية، ولم

---

[1] (2) انظر : الشاطبي: الاعتصام:(2/684).

[2] (?) إعلام الموقعين:(4 / 251) .

) يختلفــوا في التأويل في بــاب معرفة الله وصــفاته وأســمائه وأفعاله واليــوم الآخــر، ولا يحفظ عنهم في ذلك خلاف لا مشهور ولا شـاذ، فلما حـدث بعد انقضـاء عصرهم من ساء فهمه وسـاء قصـده وقعـوا في أنـواع من التأويل بحسب ســوء الفهم وفســاد القصــد، وقد يجتمعان وقد ينفـردان وإذا اجتمعا تولد من بينهما جهل بالحق ومعاداة لأهله واستحلال ما حرم الله منهم.

وإذا تـأملت أصـول المـذاهب الفاسـدة رأيت أربابها قد اشــتقوها من بين هــذين الأصــلين وحملهم عليها منافسة في رياسة أو مــال، أو توصل إلى عــرض من أعراض الدنيا.

تخطبه الآمال وتتبعه الهمم، وتشـرئب إليه النفـوس فيتفق للعبد شــبهة وشــهوة، وهما أصل كل فســاد، ومنشأ كل تأويل باطل.

وقد ذم الله ســـبحانه من اتبع الظن وما تهـــوى الأنفس فالظن الشبهات وما تهـوى الأنفس الشـهوات، وهما اللذان ذكرهما في سورة بـراءة في قوله تعـالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭼ [التوبة: 69].

فذكر الاستمتاع بالخلاق، وهو التمتع بالشهوات وهو نصيبهم الذي آثروه في الدنيا على حظهم من الآخرة .

فــالخوض الــذي اتبعــوا فيه الشــبهات فاســتمتعوا بالشــهوات، وخاضــوا بالشــبهات فنشأ عنهما التفــرق المـــذموم الـــذي ذم الله أهله في كتابه ونهى عبـــاده المؤمنين عن التشبه بهم، فقال ﭽ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ [آل عمران: 105- 106].

وقد بين النبي -ﷺ- أن سيء القصد محروم من نعيم وجــزاء الآخــرة، فقــال:" إن أول النــاس يقضى يــوم القيامة عليه رجل استشـــهد، فـــأتى به فعرفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك؛ حــتى

استشـهدت. قـال: كـذبت، ولكنك قـاتلت؛ لأن يقـال: جريء، فقد قيل، ثم أمر به فسـحب على وجهه؛ حـتى ألقي في النار.

ورجل تعلم العلم، وعلمه، وقـرأ القـرآن، فـأتي به فعرفه نعمه، فعرفها، قـــال: فما عملت فيها؟ قـــال: تعلمت العلم، وعلمته، وقـــرأت فيك القـــرآن. قـــال: كـذبت، ولكنك تعلمت العلم؛ ليقـال: عـالم، وقـرأت القرآن؛ ليقال: هو قارئ، فقد قيل، ثمَّ أمر به، فسحب على وجهه؛ حتى ألقي في النار.

ورجل وسع الله عليه وأعطـاه من أصـناف المـال كله، فـأتى به، فعرفه نعمه، فعرفها، قـال: فما عملت فيها؟ قـال: ما تـركت من سـبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كـذبت، ولكنك فعلت؛ ليقـال: هو جـــواد، فقد قيل، ثمَّ أمر به فســـحب على وجهه، ثم ألقي في النار "[1].

قال الشوكاني – رحمه الله-:(هذا الحديث فيه دليل على أن فعل الطاعـــات العظيمة مع ســـوء النية من أعظم الوبال على فاعله، فإن الـذي أوجب سـحبه في النـار على وجهه هو فعل تلك الطاعة المصـحوبة بتلك النية الفاسدة، وكفي بهـذا رادعا لمن كـان له قلب، أو ألقى السـمع وهو شـهيد اللهم إنا نسـألك صـلاح النية، وخلوص الطوية)[2].

وعن أبي هريـــــرة - رضي الله عنه - عن النَّبي -ﷺ- قـــال:" من تعلَّم علمـــاً مما يُبتَغى به وجه الله – عـــز وجل- لا يتعلَّمُه إلاَّ ليصيب به عرضاً من الـدُّنيا، لم يجد عَرْفَ الجنَّة - يعني: ريحها- يوم القيامة"[3].

---

(1) أخرجه مسلم:(791) برقم:(1905).

(2) نيل الأوطار:(8/22).

(3) أخرجــه: أبو داود:(405) بــرقم:(3664) وابن ماجــه:(42) بــرقم:(252) أحمد:(14/ 169) برقم: (8457) وقال شعيب الأرنؤوط:(إسناده حسن).

وعن كعب بن مالك – رضي الله عنه- عن النَّبيِّ -ﷺ- قال:" من طلب العلم ليُمارِي به السُّفهَاء، أو يُجاري به العُلمــاء، أو يَصــرِفَ به وجــوه النَّاس إليه أدخله الله النَّار "[1].

قــال المبــاركفوري – رحمه اللـــه- :(" من طلب العلم " أي: لا لله بل " ليجاري به العلماء " أي: يجـري معهم في المناظرة والجـدال؛ ليظهر علمه في النـاس رياءً وسمعه كذا في المجمع.

" أو ليماري به السـفهاء " جمع السـفيه: وهو قليل العقل، والمــراد به: الجاهل أي: ليجــادل به الجهــال، والممــاراة من المرية، وهي الشك، فــإن كل واحد من المتحاجين يشك فيما يقول صاحبه، ويشككه مما يــورد على حجته، أو من المرى وهو مسح الحـالب ليسـتنزل ما به من اللبن، فــإن كلا من المتنـاظرين يسـتخرج ما عند صاحبه كذا حققه الطيبي

" ويصــرف به وجــوه النــاس إليه " أي: يطلبه بنية تحصيل المال والجاه: وإقبال العامة عليه)[2].

وسبب هذا الجزاء مع تــوفر العلم والأعمـال لـديهم أنهم بنوا أعمالهم على القصد السيئ (والعمل المبـني على ســوء القصد وعلى البــدع والضــلال، هو العمل المؤسس على شفا جرف هار، فانهار به في نار جهنم، واللَّه لا يهدي القوم الظالمين) [3].

إن صـاحب القصد السـيئ مـذموم؛ لأنه كائد مـاكر مخادع، و(المكر والكيد والخداع لا يذم من جهة العلم، ولا من جهة القــدرة؛ فــإن العلم والقــدرة من صــفات الكمــال، وإنما يــذم من جهة ســوء القصــد، وفســاد

---

[1] (4) أخرجه الترمـذي:(430) بـرقم:(2654) وابن ماجـة:(42) بـرقم:(253).
[2] (1) تحفة الأحوذي:(7/346).
[3] (?) تيسير الكريم الرحمن (351) .

الإرادة، وهو أن الماكر المخادع يجــور، ويظلم بفعل ما ليس له فعله، أو ترك ما يجب عليه فعله)[1] .

ويقع المكر والخداع في القضـايا العلمية والفكريـة، كما يقع في القضايا العملية، لذلك جـاء في الحـديث:" إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسـان "[2].

وعن شداد بن أوس قال: قال نبي الله -ﷺ-: " إني لا أخاف على أمتي إلا الأئمة المضلين "[3].

قال ابن عثيمين – رحمه الله -: (" الأئمة المضـلين " أئمة الشر، وصدق النبي -ﷺ- إن أعظم ما يخاف على الأمة الأئمة المضـــلون؛ كرؤســـاء الجهمية والمعتزلة وغيرهم الذين تفرقت الأمة بسببهم.

والمـراد بقوله:" الأئمة المضـلين ": الـذين يقـودون النـاس باسم الشـرع، والـذين يأخـذون النـاس بـالقهر والســلطان؛ فيشــمل الحكــام الفاســدين، والعلمــاء المضلين، الذين يدعون أن ما هم عليه شرع الله، وهم أشد الناس عداوة له)[4].

وأعداء المسلمين عموماً عندهم هذا الداء العضــال تجاه الإسلام؛ فلسـوء قصـدهم يريـدون هـدم الإسـلام، وإثارة الشـبهات حولـه، والتنفـير عنه بشـتى الوسـائل، وما قصة أصـحاب مسـجد الضر عنا أذهاننا ببعيـد، فقد بين القـرآن الكـريم فسـاد قصـدهم، وسـوء طـويتهم لرسوله -ﷺ- فقال تعالى : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ [التوبة : 107] .

---

[1] (?) مختصر الصواعق المرسلة (2 / 33) .
[2] (4) أخرجه أحمد:(1/ 289) برقم:(143) قال شعيب الأرنؤوط:(إسناده قوي).
[3] (1) صحيح ابن حبان:(10/ 431) برقم:(4570) وقال شعيب الأرنؤوط:(إسناده صحيح) وأحمد:(28/ 340) برقم:(17115).
[4] (2) القول المفيد شرح كتاب التوحيد:(1/ 478).

قال ابن سعدي -رحمه الله-:(والعمل المبـني على سوء القصد وعلى البدع والضلال، هو العمل المؤسس على شفا جرف هـار، فانهـار به في نـار جهنم، واللّه لا يهدي القوم الظالمين)[1] .

وقد فضح الله سـبحانه وتعـالى الـزائغين الـذين ساءت مقاصدهم، وبين أنهم يتتبعون المتشـابه لغـرض الفتنة، فقال تعالى:ﭽ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﭼ [آل عمران:7].

قال ابن سعدي -رحمه الله-:في تفسـير الآية:(أي: ميل عن الاسـتقامة بـأن فسـدت مقاصـدهم، وصـار قصـدهم الغي والضـلال وانحـرفت قلـوبهم عن طريق الهدى والرشاد)[2].

(فمن اتبع المتشـابه ابتغى الفتنة وابتغى تأويلـه، والأول قصدهم فيه فاسد، والثاني ليسـوا من أهله، بل يتكلمون في تأويله بما يفسد معناه؛ إذ كانوا ليسوا من الراسـخين في العلم، وإنما الراسخ في العلم الـذي رسخ في العلم بمعنى المحكم، وصار ثابتاً فيه لا يشك ولا يرتاب فيه بما يعارضه من المتشـابه، بل هو مـؤمن به)[3].

أما الزائغون لسوء قصد (فإنهم يقصدون المتشابه يبتغون تأويله، ولا يعلم تأويله إلا الراسـخون في العلم، وليسـوا منهم، وهم يقصـدون الفتنة لا يقصـدون العلم والحق وهذا وهذا كقوله تعالى ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ[الأنفال : 23].

فإن المعنى بقوله{ ﯓ ﯔ } فهم القـرآن يقـول: لو علم الله فيهم حسن قصد وقبـــــــولاً للحق؛ لأفهمهم القرآن لكن لو أفهمهم لتولوا عن الإيمان، وقبول الحق

[1] (?) تيسير الكريم الرحمن:(351) .
[2] (?) المصدر السابق:(122) .
[3] (?) ابن تيمية: مجموع فتاوى:(16/ 417) .

لسوء قصدهم، فهم جاهلون ظالمون كذلك الذين في قلوبهم زيغ، هم مذمومون بسوء القصد، مع طلب علم ما ليسوا من أهله)[1].

إن الإخلاص لله، وحسن القصد ينتج التسليم لله ولرسوله -- وعدم معارضته ما جاء في الكتاب والسنة، فمبتغي الحق الذي جاء به الوحي مسلم له: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا }[الأحزاب:36].

فإسلام الوجه لله يقتضي الرضا بالله رباً، وبالإسلام ديناً وبمحمد-- نبياً.

ومن لم يحكم رسول الله -- في مواطن الاختلاف فقد نفى الله عنه الإيمان: { فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } [النساء: 65].

وآفة كثير من الخلق مخاصمتهم للقرآن والسنة، ومعارضتهم لدلائلهما قال أبو الزناد -رحمه الله-:(إن السنن لا تخاصم , ولا ينبغي لها أن تتبع بالرأي والتفكير , ولو فعل الناس ذلك لم يمض يوم إلا انتقلوا من دين إلى دين , ولكنه ينبغي للسنن أن تلزم ويتمسك بها على ما وافق الرأي أو خالفه ولعمري إن السنن ووجوه الحق لتأتي كثيرا على خلاف الرأي , ومجانبته خلافا بعيدا , فما يجد المسلمون بدا من اتباعها والانقياد لها)[2].

---

[1] (?) المصدر نفسه:(17/ 405) .

[2] (?) رواه الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه:(1/392).

وقـال عمر بن عبد العزيز -رحمـه اللـه-:(من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل)[1].

ومن أخلص لله قصده أنصف من نفسه، قال عمـار بن ياسر -رضي الله عنهمـا- :(ثلاثٌ من جمعهنَّ فقد جمع الإيمـان: الإنصـافُ من نفسك، وبـذل السّلام للعـالَم، والإنفاق من الإقتار)[2].

قـال أبو الزنـاد-رحمـه اللـه-:(جمع عمـار في هـذه الألفاظ الثلاث الخير كله؛ لأنك إذا أنصـفته من نفسـك، فقد بلغت الغاية بينك وبين خالقك، وبينك وبين النـاس، ولم تضيع شيئًا) [3].

و (الله تعــالى يحب الإنصــاف، بل هو أفضل حلية تحلى بها الرجـل، خصوصـاً من نصب نفسه حكمـاً بين الأقـوال والمـذاهب، وقد قـال الله تعـالى لرسـوله:{ وَأُمِرْتُ لأَعْـدِلَ بَيْنَكُمُ }[الشـورى:15] فورثة الرسـول منصــبهم العــدل بين الطوائــف، وألا يميل أحــدهم مع قريبه وذوي مذهبه وطائفته ومتبوعــه، بل يكـون الحق مطلوبه، يسير بسيره وينزل بنزوله يـدين بـدين العـدل والإنصاف، ويحكم الحجة وما كان عليه رسول اللــه -- وأصحابه، فهو العلم الذي قد شمر إليه، ومطلوبه الذي يحـوم بطلبه عليـه، لا يثـنى عنانه عنه عـذل عـاذل، ولا تأخذه فيه لومة لائم، ولا يصده عنه قول قائل) [4].

والإنصـاف أحـد طـرق معرفـة الصـواب، يقـول ابن القيم - رحمه الله-:(ومن له قـدم راسخ في الشـريعة ومعرفة بمصادرها ومواردها، وكان الإنصــاف أحب إليه

---

[1] (?) رواه الخطيب البغدادي: الفقيه والمتفقه:(1/334).
[2] (?) رواه البخاري معلقاً: كتاب: الإيمـان، بـاب: إفشـاء السـلام: صـحيفة:(29) وابن القيم: زاد المعاد:(2/407).
[3] (?) ابن حجر: الفتح:(1/ 84).
[4] (?) ابن القيم: إعلام الموقعين:(3/95).

من التعصب والهـــوى، والعلم والحجة آثر عنـــده من التقليد، لم يكد يخفى عليه وجه الصواب) [1].

[1] (?) إعلام الموقعين:(4/32)

المبحث الرابع: نبـــذ الآفـــات المضـــادة للإخلاص، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الحسد.

المطلب الثاني: الكبر.

المطلب الثالث: البغي.

المطلب الرابع: التعصب.

المطلب الخامس: اتباع الهوى.

المطلب الأول:

الحسد

الحسد مرض من أمراض النفس وهو مرض غـالب فلا يخلص منه إلا قليل من النــاس ولهــذا قيــل:(ما خلا جسد من حسد، لكن اللئيم يبديه، والكريم يخفيه.

وقيل للحسن البصـري: أيحسد المـؤمن؟ فقـال: ما أنسـاك إخـوة يوسف لا أبا لك ولكن عمه في صـدرك، فإنه لا يضرك ما لم تعد به يداً ولساناً)[1].

ومنشأ الحسد الظن والشح وكراهية حصـول النعمة والخــير للآخــرين بل وتمــني زوالها إذا حصــلت فــ (الحاسد يكـره أولاً فضل الله على ذلك الغـير؛ ثم ينتقل إلى بغضــه؛ فــإن بغض اللازم يقتضي بغض الملــزوم، فإن نعمة الله إذا كانت لازمة وهو يحب زوالها، وهي لا تزول إلا بزواله، أبغضه وأحب عدمه)[2].

ولهذا جاء في الحديث عن النبي -ﷺ- أنه قال:" دب إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد، والبغضــاء، والبغضــاء هي الحالقة لا أقــول تحلق الشــعر ولكن تحلق الــدين "[3].

فالحسد يطبع على القلب ويعميه، ويصمه مما يدفع الحاسد إلى إرتكاب أبشع الجرائم والمحرمات في حق محســوده، كحسد ابن آدم لأخيه مما دفعه إلى إزهـاق نفسه وسـفك دمـه، أو إلى النكـران والجحـود لما عند محسوده من حـق، كحسد إبليس لآدم، وكحسد اليهـود للمسلمين بعد بعثة نبينا محمد -ﷺ- أو تمــني زوال نعمة

---

[1] (?) ابن تيمية: الفتاوى:(10/124-125).

[2] (?) المصدر نفسه:(10/127).

[3] (?) رواه أحمد:(1/ 167) برقم:(1430) وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف؛ لجهالة مولى آل الزبير) والترمذي:(408) بـرقم:(2510) وجـود المنذري سنده: الترغيب والترهيب:(3/ 347) وقال الألباني: (حسن لغيره) صحيح الترغيب برقم:(2888).

الإسلام عن الغير؛ ليشتركوا بصفة الكفر كحسد المنافقين للمسلمين أيضاً قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ [النساء:89].

وقد دلت النصوص على خطر هذا الخلق في الانحراف، والجحود والنكران للحق على وضوحه وتجليه، واستخدم القرآن الكريم أسلوبين في التحذير من هذا الخلق الذميم، ومعظم الآيات في ذلك ذات علاقة بسلامة المنهج وصحة الاعتقاد وسلامة الفكر، وهذا بيان لهذين الأسلوبين:

الأسلوب الأول: التصريح بلفظ الحسد ومشتقاته.

وقد ورد في مواضع من القرآن الكريم منها:

الموضع الأول: في سورة البقرة في قوله تعالى : ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﭼ [البقرة: 109].

قال ابن كثير – رحمه الله-:(يحذر تعالى: عباده المؤمنين عن سلوك طريق الكفار من أهل الكتاب ويعلمهم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين مع علمهم بفضلهم وفضل نبيهم .. وكذلك قال الله تعالى:{ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ} يقول من بعد ما أضاء لهم الحق لم يجهلوا منه شيئاً، ولكن الحسد حملهم على الجحود، فعيرهم ووبخهم، ولامهم أشد الملامة وشرع لنبيه -ﷺ- وللمؤمنين ما هم عليه من التصديق والإيمان، والإقرار بما أنزل الله عليهم، وما أنزل من قبلهم بكرامته، وثوابه الجزيل ومعونته لهم)[1].

فحسدهم منعهم من الوصول إلى الحق، وأعاق قبولهم له.

---

[1](?) تفسير القرآن العظيم (1/ 382-383).

قـال ابن القيم – رحمه اللـه-:(والحسد خلق نفس ذميمة وضـيعه سـاقطة، ليس فيها حـرص على الخـير، فلعجزها ومهانتها تحسد من يكسب الخــــير، والمحامد ويفوز بها دونها وتتمنى أن لوفاته كسبها؛ حتى يسـاويها في العدم، كما قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ [النساء:89] وقال تعالى: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ [البقرة: ١٠٩].

فالحسـود عـدو النعمة متمن زوالها عن المحسـود، كما زالت عنه)[1].

فهو لا يقتصر على ما وقع فيه من ا لضـــــلال حيث منعه الحسد من الاســــــتجابة للحـــــــق، بل يحسد المستجيب للحق، ويتمنى أن يكون مثله في الضلال.

وقـال شـيخ الإسـلام ابن تيمية -رحمه اللــه-:(وأنا أشير إلى بعض أمور أهل الكتاب والأعاجم التي ابتليت بها هذه الأمة؛ ليجتنب المسـلم الحـنيف الانحـراف عن الصـراط المسـتقيم إلى صـراط المغضـوب عليهم أو الضالين.

قال الله سبحانه: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ [البقرة: ١٠٩].

فذم اليهـود على ما حسـدوا المؤمـنين على الهـدى والعلم، وقد يبتلى بعض المنتسـبين إلى العلم وغـيرهم بنـــوع من الحسد لمن هـــداه الله لعلم نـــافع، أو عمل صالح، وهو خلق مـذموم مطلقاً، وهو في هـذا الموضع من أخلاق المغضوب عليهم)[2].

الموضع الثاني: في سورة النساء قوله تعـالى:ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ[النساء: ٥٤].

---

[1] (?) الروح:(252).
[2] (?) (اقتضاء الصراط المستقيم:(1/6).

(وصف الله اليهـــود بشر خصـــلة: وهي الحسد، والمراد بالناس محمد -ﷺ- وحده وإنما أن يقع عليه لفظ الجمع وهو واحد؛ لأنه -ﷺ- اجتمع فيه من خصـال الخـير والبركة ما لا يجتمع مثله في جماعة، ومن هـــذا القبيل يقال: فلان أمة وحده، يعني أن يقـوم مقـام أمة, وقيل المـراد بالنـاس: النـبي -ﷺ- وأصـحابه؛ لأن لفظ النـاس جمع، وحمله على الجمع أولى، والمراد بالفضل النبوة؛ لأنها أعظم المناصب وأشرف المراتب, وقيل حسـدوه على ما أحـــلّ الله له النســـاء، وكـــان له يومئـــذٍ تسع نسوة.

فقالت اليهود: لو كان نبيـاً لشـغله أمر النبـوة عن الاهتمام بـأمر النسـاء، فأكـذبهم الله تعـالى ورد عليهم بقوله: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ [النساء:54].

يعـــني: أنه قد حصل في أولاد إبـــراهيم -ﷺ- جماعة كثيرون جمعوا بين الملك والنبـوة مثل داود وسـليمان-عليهما السـلام- فلم يشـغلهم الملك عن أمر النبـــوة والمعنى كيف يحسدون محمداً -ﷺ-)[1].

---

[1](?) تفسير الخازن (1/546) .

الأسلوب الثاني: التلميح والتعريض توبيخاً لمن يتصف بهذا الخلق السيئ.

وهـذا ذكر في أكـثر من موضع في القـرآن الكـريم منها:

قوله تعالى: ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﭼ [البقرة: ٣٤].

ولما خاطبه الله تعالى بقوله ﭽﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﭼ[ص: ٧٥] قال في إصراره وحسده وتكبره: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭼ [الأعراف: ١٢].

(ولقد قالوا إن الـذي جر على إبليس هـذا كله: هو الحسد، حسد آدم على ما أكرمه الله به، فـــــــاحتقره وتكبر عليه، فوقع في العصيان، وكـانت نتيجته الطـرد، وهكـذا اليهـود إن داءهم الـدفين: هو الحسد، والعجب بالنفس، فجرهم إلى الكفر، ووقعوا في الخيانة، وكانت النتيجة القتل والطرد)[1].

ومنها: قوله – عز وجل-: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ [البقرة: ١٠٥].

أي:(ما يحب الكـــــافرون من أهل الكتـــــاب، ولا المشركين بالله من عبده الأوثـان، أن يـنزل عليكم من الخــــير الـــذي كـــان عند الله، فنزله عليكم، فتمـــنى المشركون، وكفرة أهل الكتـاب أن لا يـنزل الله عليهم الفرقـان، وما أوحـاه إلى محمد -ﷺ- من حكمه وآياتـه، وإنما أحبت اليهود وأتباعهم من المشركين ذلك، حسدا وبغياً منهم على المؤمنين)[2].

قال شيخ الاسلام -رحمه الله-:(فنهاهم عن التشبه بأهل الكتاب في سوء أدبهم على الرسول -ﷺ- وعلى ما

---

[1] (?) الشنقيطي: أضواء البيان:(8/26).
[2] (?) الطبري: جامع البيان:(2/470).

جاء به، وأخبر أنهم؛ لحسدهم ما يـودون أن اللّه يـنزل عليه شيئاً من الكتاب والحكمة)[1].

ومنها: قوله سبحانه ﭽ   ی ﭼ [آل عمران: ٦٩].

(يخبر تعالى عن حَسَدَ اليهـود للمؤمـنين، وبَغْيهم إيـاهم الإضـلال، وأخـبر أنَّ وَبَـالَ ذلك إنما يعـود على أنفسهم، وهم لا يشعرون أنهم ممكور بهم)[2].

وقد (أجمع المفسرون على أنها نـزلت في: معـاذ، وحذيفة، وعمار، دعـاهم يهـود: بـني النضـير، وقريظـة، وقينقاع، إلى دينهم.

وقيل: دعاهم جماعة من أهل نجران، ومن يهود.

وقال ابن عبـاس: هم اليهـود، قـالوا لمعـاذ وعمـار: تركتما دينكما، واتبعتما دين محمد، فنزلت)[3].

وفي السنة نصوص كثيرة تحـذر من آفة الحسـد، وتأمر بضده من سلامة القلب وإرادة الخير:

فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قـال:" إيـاكم والظن، فـإن الظن أكـذب الحـديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تناجشـوا، ولا تحاسـدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً "[4].

قـــال ابن عبد الـــبر -رحمه اللـــه-:(قولـــه: " فلا تحاسـدوا " فليس على ظـاهره، وإنما معنـاه: لا يحسد أحـــدكم أخـــاه على نعمة أتـــاه الله، وليســـأل الله من فضله.

وقرن في الحديث:(الحسد بالبغضـاء ؛ لأن الحاسد يكـــره أولاً فضل الله على ذلك الغـــير، ثم ينتقل إلى

[1] (?) مجموع الفتاوى (5/199).
[2] (?) تفسير القرآن العظيم (2/59).
[3] (?) تفسير البحر المحيط (2/513).
[4] (4) أخرجه البخـاري:(1173) بـرقم:(6066) ومسـلم:(1034) بـرقم:(2563).

بغضه، فــإن بغض اللازم يقتضي بغض الملــزوم، فــإن نعمة الله إذا كـــــانت لازمة، وهو يحب زوالها، وهي لا تزول إلا بزواله أبغضه وأحب عدمه.

والحسد يــوجب البغي كما أخــبر الله تعــالى عمن قبلنا أنهم اختلفوا ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇﮈ ﭼ [آل عمران:19] فلم يكن اختلافهم لعـدم العلم، بل علمـوا الحق، ولكن بغى بعضــــــــهم على بعض، كما يبغي الحاسد على المحسود)[1].

فكم أوقع الحسد أقوامـــاً في الضــلال، كما حسد اليهود محمداً -ﷺ- فضلوا وانحرفوا، بل سعوا في إضلال الناس وانحرافهم عن الحــق؛ حســداً من عند أنفســهم من بعد ما تبين لهم الحق .

ولو تمحص القصد وخلص لله - عز وجل- لم يتلوث القلب بأدران الحسد للناس فالوجه لله، والمقصود هـو لله - عز وجل-.

---

[1] (?) مجموع الفتاوى (10/128).

المطلب الثاني:

الكبر

أصل الكبر رفض الحق والتعالي عليه، وعدم قبوله، والذي يتضمن الإنكار والجحود والكراهية للحق، ولمن جاء به وتعاظم النفس والتحقير للغير، وهو سنة إبليس المتكبر منازع لله جل جلاله في عظمته، وكبريائه، وهو ناتج عن عوامل عديدة، فالكبر (له أسباب: فمنها: العلم والعبادة، والحسب والشجاعة، والقوة والجمال، والمال والجاه.

وهو درجات: فأشده التكبر على الله ورسوله -ﷺ- وهو الذي حمل أكثر الكفار على الكفر، ثم التكبر على أهل الدين من العلماء والصلحاء وغيرهم بالازدراء بهم وعدم القبول لمناصحتهم، ثم التكبر على سائر الناس)[1].

وتجدر خطورة هذا الخلق الشائن بانحراف صاحبه عن الصراط القويم الذي ارتضاه لله لرسله، وللمؤمنين (وذلك أن النفس فيها نوع من الكبر، فتحب أن تخرج من العبودية والاتباع بحسب الإمكان، كما قال أبو عثمان النيسابوري - رحمه الله-: ما ترك أحد شيئاً من السنة إلا لكبر في نفسه.

ثم هذا مظنة لغيره فينسلخ القلب عن حقيقة الاتباع للرسول ويصير فيه من الكبر وضعف الايمان ما يفسد عليه دينه أو يكاد وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً)[2].

1(?) ابن جزي: القوانين الفقهية:(1/475).
2(?) ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم:(1/292).

وقد كان الكبر، والحسد: هما أول معصية عصي الله بهما، والكبر أحد أركان الكفر[1] ومن أصول الخطايا التي يقع فيها البشر[2].

وقد دلت كثير من النصوص القرآنية على عظيم خطر الكبر، وقصّ الله -تعالى- علينا في القرآن مخاطر هذا الخلق، وهذا الفعل الذي إذا نبت في القلب؛ منعه من استجلاب حقائق الإيمان (فالقلب لا تدخله حقائق الإيمان، إذا كان فيه ما ينجِّسه من الكبر والحسد فقد أصاب، قال تعالى: ﭽ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □□ □ □ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﭼ[المائدة: ٤١].

وقال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﭼ [الأعراف: ١٤٦] [3].

وقد كان الكبر أول صارف عن الحق، وأول مورد لمهاوي الكفر.

قال الله تعالى: ﭽ □ □ □ □ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ □ □ □ □ □ ﯓ ﭼ [البقرة: ٣٤] .

قال ابن جرير الطبري – رحمه الله-:({ □ } يعني بذلك أنه تعظَّم، وتكبَّر عن طاعة الله في السجود لآدم، وهذا وإن كان من الله -جل ثناؤه- خبرًا عن إبليس، فإنه تقريعٌ لضُربائه من خلق الله الذين يتكبرون عن الخضوع لأمر الله، والانقيادِ لطاعته فيما أمرهم به وفيما نهاهم عنه، والتسليم له فيما أوجب لبعضهم على بعض من الحق.

وكان ممن تكبر عن الخضوع لأمر الله، والتذلل لطاعته، والتسليم لقضائه فيما ألزمهم من حقوق غيرهم - اليهودُ الذين كانوا بين ظهرانيْ مُهَاجَرِ رسول الله -□- وأحبارُهم الذين كانوا برسول الله -□- وصِفته

---

[1] (?) الفوائد:(1/157).
[2] (?) المصدر نفسه:(1/58).
[3] (?) ينظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى:(41/222).

عـارفين، وبأنه لله رسـولٌ عـالمين، ثم اسـتكبروا -مع علمهم بذلك- عن الإقرار بنبوّته، والإذعان لطاعته، بَغْيًا منهم له وحسدًا.

فقـــرَّعهم الله بخـــبره عن إبليس الـــذي فعل في اسـتكباره عن السـجود لآدم حسـدًا له وبغيًـا، نظـيرَ فعلهم في التكـــبر عن الإذعـــان لمحمد نـــبي الله -- ونبوّته، إذ جاءهم بالحق من عند ربهم حسـدًا وبغيًا، ثم وَصَـف إبليس بمثل الـذي وصف به الـذين ضـرَبه لهم مثلاً في الاستكبار والحسد، والاستنكاف عن الخضـوع لمن أمرَه الله بالخضوع لـه، فقـال جل ثنـاؤه: { ـ } يعني إبليس { ڭ })[1].

فكـان (أول ذنب عُصي الله به كـان من أبي الجن وأبي الإنس، أبـوي الثقلين، وكـان ذنب أبي الجن أكـبر وأسـبق، وهو تـرك المـأمور به - وهو السـجود - إبـاءً واستكبارًا، وذنب أبي الإنس كـان ذنبًا أصـغر، وهو فعل المنهي عنه - وهو الأكل من الشجرة - ثم إنه تـاب منه)[2].

فتاب الله على آدم وذلك؛ لأن (ذنب ارتكاب النهي مصدره في الغالب الشهوة والحاجة، وذنب تـرك الأمر مصدره في الغالب الكـبر والعـزة، ولا يـدخل الجنة من في قلبه مثقـال ذرة من كـبر، ويـدخلها من مـات على التوحيد، وإن زنى وسرق)[3].

وكما كـان الكـبر سـبب الكفر الأول كـان سـبباً في كفر أمم من اللاحقين، يقول الله تعالى : ﭽ ـ ـ ه هـ ه هـ ـ ـ ـ ڭ ـ ڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ـ ۋ ۋ ـ ـ ـ ـ ـ ي ﭼ[البقرة: ٨٧] .

---

[1] (?) جامع البيان في تأويل القرآن: (1/501-202).
[2] (?) ابن تيمية: مجموع الفتاوى:(20/88).
[3] (?)ابن القيم: الفوائد: (1/26).

فــ (ينعت - تبـارك وتعـالى- بـني إسـرائيل بـالعتو والعناد والمخالفة، والاسـتكبار على الأنبيـاء، وأنهم إنما يتبعون أهواءهم، فذكر تعـالى أنه آتى موسى الكتـاب - وهو التـــوراة-فحرفوها وبـــدلوها، وخـــالفوا أوامرها وأولوها.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية -رحمه الله-:(والشـرك غالب على النصارى، والكبر غالب على اليهود.

قال تعالى في النصارى : ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ □ □ □ □ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ □ □ □ □□ □ □ □ □ ﭼ [التوبة: ٣١].

وقال في اليهود: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ □ □ □ □ □ □ ﯧ ﭼ[البقرة: ٨٧] وقال تعالى:ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ[الأعراف: ١٤٦])[1].

وقال -رحمه الله- أيضاً :(كما في النصـارى شـرك وغلو، اليهود فيهم كبر، والمستكبر معاقب بالذل)[2].

ولذلك توعد الله المستكبرين فقال تعالى: ﭽ □ □ □ □ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ □ □ □ ﭼ [الأعراف: ٣٦].

({ □ □ □ □ ﯦ ﯧ ﯨ } أي: لا آمنت بها قلوبهم، ولا انقادت لها جوارحهم { ﯩ ﯪ □ □ □ □ } كما استهانوا بآياته، ولازمـوا التكـذيب بها، أهينـوا بالعـذاب الـدائم الملازم)[3].

قال ابن عاشور-رحمه الله-:(والاستكبار مبالغة في التكـبر، فالسـين والتـاء للمبالغـة، وهو أن يعد المـرء نفسه كبيراً أي عظيما وما هو بـه، فالسـين والتـاء للعد والحسـبان، وكلا الأمـرين يـؤذن بـإفراطهم في ذلك وأنهم عدوا قدرهم.

---

[1] (?) الفتاوى الكبرى (5/192).
[2] (?) منهاج السنة:(7/151).
[3] (?) ابن سعدي: تيسير الكريم الرحمن (1/287).

وضمن الاستكبار معنى الإعراض، فعلق به ضمير الآيات، والمعنى: واستكبروا فأعرضوا عنها، وأفاد تحقيق أنهم صائرون إلى النار بطريق قصر ملازمة النار عليهم في قوله: { ﭙ ﭚ ﭛ } لأن لفظ أصحاب مؤذن بالملازمة، وبما تدل عليه الجملة الاسمية من الدوام والثبات في قوله: { ﯘ ﯙ ﯚ }[1].

إن المتكبر يعاقبه الله فيصرفه عن الحق ويمنعه، قال الله تعالى : ﭽ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ [الأعراف: ١٤٦] .

أي: سأمنع فهم الحجج والأدلة على عظمتي وشريعتي، وأحكامي قلوب المتكبرين عن طاعتي، ويتكبرون على الناس بغير حق، أي: كما استكبروا بغير حق أذلهم الله بالجهل، كما قال تعالى: ﭽ ... ﭼ [الأنعام: ١١٠] وقال تعالى: ﭽ ... ﭼ [الصف:5].

كما جاء الوعيد في السنة للمتكبرين:

عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال:" لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبر " قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنةً؟ قال:" إن الله جميل يحب الجمال، الكبر: بطر الحق، وغمط الناس "[2].

قال ابن القيم -رحمه الله-:(الكبر: بطر الحق، وغمط الناس، وقال تعالى : ﭽ ... ﭼ [النساء:48]_ تنبيهاً على أنه لا يغفر الكبر الذي هو أعظم من الشرك، وكما أن من تواضع لله رفعه، فكذلك من تكبر عن الانقياد للحق، أذله الله، ووضعه وصغره وحقره.

[1] (?) التحرير والتنوير (8/85).
[2] (?) رواه مسلم:(63) برقم:(91).

ومن تكـــبر عن الانقيـــاد للحق، ولو جـــاءه على يد صغير، أو من يبغضه، أو يعاديه، فإنما تكـــبره على الله، فـــــــإن الله هو الحق، وكلامه حق، ودينه حق، والحق صفته، ومنه، وله فإذا رده العبد وتكبر عن قبوله، فإنما رد على الله، وتكبر عليه)[1].

قـــال الشـــاطبي -رحمه اللـــه-:(كما قـــال - عليه السـلام-:" الكِبْـرُ بَطر الحق وغمـطُ النـاس " ففسَّـره بلازمه الظـاهر لكل أحـد، وكما تُفسر ألفـاظ القـرآن والحـديث بمرادفاتها لغـة، من حيث كـانت أظهر في الفهم منها)[2].

وبطر الحـق: أي: ردّه؛ لجعله معيـار الحق ذاته هـو، فلا قيمة للحق عنده، وإنما القيمة لنفسـه، ولـذلك يـرد الحق إذا جاء من غيره.

وعن أبي سـعيد الخـدري وأبي هريـرة -رضي الله عنهمـــا- قـــالا: قـــال رســـول الله -ﷺ-:" العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته "[3].

فـــ (المسـتكبر على الله تعـالى لاشك أنه منازعه رداءه، ومفارق دينه، وحرام عليه جنته كما قـال - عليه السـلام- أنه:" لا يـدخلها إلا نفس مسـلمة "[4] ومن لم يخشع لله قلبه عليه مســتكبر؛ إذ معـــنى الخشـــوع: التواضع، وخلاف الخشــوع والتواضع، التكـبر والتعظم، فالحق لله على كل مكلف إشعار قلبه الخشوع بالذلة، والاستكانة له بالعبودية خوف أليم عقابه، وقد روى عن محمد بن علي أنه قال: ما دخل قلب أمرىء شيء من الكبر إلا نقص من عقله، قل ذلك أو كثر)[5].

---

[1] (?) مدارج السالكين (2/332).
[2] (?) الموافقات للشاطبي (1/57).
[3] (?) رواه مسلم:(1053) برقم:(2620).
[4] (?) رواه البخاري:(586) برقم:(3062) ومسلم:(70) برقم:(111).
[5] (?) ابن بطال: شرح صحيح البخاري (9/267).

المطلب الثالث:

البغي

يعد البغي أصلاً لانحراف الفكر، وضلال الناس في الاعتقاد، يقول الله - عز وجل- : ﭼ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ [البقرة:90].

(قال مجاهد: { ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ }ـ يهودُ شَرَوُا الحقَّ بالباطل، وكتمانَ مَا جاءَ به مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم بأن يبينوه.

وقال السدي: { ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ }ـ يقول: باعوا به أنفسهم، يعني: بئسما اعتاضوا لأنفسهم ورضوا به،

وعدلوا إليه من الكفر بما أنزل الله على محمد -ﷺ- إلى تصديقه ومؤازرته ونصرته .

وإنما حملهم على ذلك البغي والحسد والكراهية { ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ} ولا حسد أعظم من هذا)[1]

(قال ابن عباس -رضي الله عنهما- لم يكن كفرهم شكاً، ولا اشتباهاً، ولكن بغياً منهم؛ حيث صارت النبوة في ولد إسماعيل، ثم قال بعد ذلك: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭼ [البقرة:101] فلما شـــبههم في فعلهم هـــذا بمن لا يعلم، دل على أنهم نبذوه عن علم كفعل من لا يعلم)[2]

وقال تعالى: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﭼ [البقرة:213].

فانحرافهم كان { ﮛ ﮜ ﮝ } (أي: من بعد ما قامت عليهم الحجج، وما حملهم على ذلك إلا البغي من بعضهم على بعض { ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ })[3].

(فأخبر سبحانه أن المختلفين بالتأويل لم يختلفوا لخفـــاء العلم الـــذي جـــاءت به الرسل عليهم، وإنما اختلفوا بعد مجيء العلم.

وهذا كثير في القرآن كقوله: ﭽ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﭼ [يونس:93].

وقال تعالى : ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ [البينة: ٤].

---

[1] (?) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم:(1/327).
[2] (?) ابن القيم: مفتاح دار السعادة:(1/91).
[3] (?) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم:(1/569).

فهؤلاء المختلفون بالتأويل بعد مجيء الكتاب كلهم مذمومون، والحامل لهم على التفرق والاختلاف؛ البغي وسوء القصد)[1].

قال شـيخ الإسـلام ابن تيمية – رحمه اللـه-:(وذلك بأن تؤمن طائفة ببعض حق وتكفر بما عند الأخـرى من الحـــق، وتزيد في الحق بـــاطلًا، كما اختلف اليهـــود والنصارى في المسيح وغـير ذلك، وحينئـذ، نقـول : من قال : إن أهل الكتـاب ما تفرقـوا في محمد إلا من بعد ما بعث، إرادة إيمــان بعضــهم وكفر بعضــهم كما قاله طائفة فالمذموم هنا من كَفَـر، لا من آمن، فلا يـذم كل المختلفين، ولكن يذم من كان يعـرف أنه رسـول، فلما جاء كفر به حسدًا أو بغيًا كما قال تعالى:ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺﭼ[البقرة : 89].

وإن أريد بالتفرق فيه أنهم كلهم كفروا به، وتفرقت أقـوالهم فيـه، فليس الأمر كـذلك وقد بين القـرآن في غـير موضع أنهم تفرقـوا، واختلفـوا قبل إرسـال محمد -ﷺ- .

فاختلاف هؤلاء وتفرقهم في محمد -ﷺ- هو من جملة ما تفرقوا واختلفوا فيه)[2].

وقوله عز وجل : ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ [آل عمران: ١٩].

قال الزجاج – رحمه الله-:(اختلفـوا للبغي، لا لقصد البرهان)[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:(فـالبغي مذموم مطلقاً سواء كان في أن يلـزم الإنسـان النـاس بما لا يلزمهم، ويـذمهم على تركه، أو بـأن يـذمهم على

[1] (?) ابن القيم: الصواعق المرسلة:(2/512).
[2] (?) مجموع الفتاوى:(16/515).
[3] (?) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية:(5/263).

ما هم معذورون فيه، والله يغفر لهم خطأهم فيه، فمن ذم النـــاس وعـــاقبهم على ما لم يـــذمهم الله تعـــالى ويعـاقبهم عليه، فقد بغى عليهم لا سـيما إذا كـان ذلك أجل هواه)[1].

(فبين تعالى أن سبب الاختلاف هو البغي الذي هو خلاف العدل، فالشـبهة الفاسـدة من هـذا النمط، وهي من أسـباب الاختلاف بعد بيـان الكتـاب والسـنة للحق المعلوم)[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله-:(إنه من مسـائل الخلاف ما يتضـمن أن اعتقـاد أحـدهما يـوجب عليه بغض الآخر ولعنه، أو تفسيقه أو تكفيره، أو قتاله، فإذا فعل ذلك مجتهـداً مخطئاً كـان خطـؤه مغفـوراً له، وكـــــان ذلك في حق الآخر محنة في حقه وفتنة وبلاء ابتلاه به.

وهذه حـال البغـاة المتـأولين مع أهل العـدل سـواء كان ذلك بين أهل اليد والقتال من الأمراء ونحــوهم، أو بين أهل اللسان والعمل من العلمـاء والعبـاد ونحـوهم، وبين من يجمع الأمرين.

ولكن الاجتهاد السـائغ لا يبلغ مبلغ الفتنة والفرقة إلا مع البغي لا لمجرد الاجتهاد، كما قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋﭼ[آل عمران: ١٩] وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭼ [الأنعام: ١٥٩] وقال: ﭽ   ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ   ﭼ [آل عمران: ١٠٥] .

فلا يكون فتنة وفرقة، مع وجود الاجتهاد السـائغ، بل مع نوع بغى)[3].

قال الشوكاني - رحمه الله-:(قوله { ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ } ـ فيه الإخبار بـأن اختلاف اليهـود

[1] (?) درء تعارض العقل والنقل:(8/408).
[2] (?) ابن تيمية: بيان تلبيس الجهمية:(2/146).
[3] (?) الاستقامة:(1/31).

والنصارى كان لمجرد البغي بعد أن علموا بأنه يجب عليهم الدخول في دين الإسلام بما تضمنته كتبهم المنزلة إليهم.

قال الأخفش: وفي الكلام تقديم وتأخير، والمعنى: ما اختلف الذين أوتوا الكتاب بغيا بينهم إلا من بعد ما جاءهم العلم، والمراد بهذا الخلاف الواقع بينهم: هو خلافهم في كون نبينا -- نبياً أم لا؟ وقيل: اختلافهم في نبوة عيسى، وقيل: اختلافهم في ذات بينهم حتى قالت اليهود: ليست النصارى على شيء، وقالت النصارى: ليست اليهود على شيء.

قوله { ژ ڑ ک ک } أي: بالآيات الدالة على أن الدين عند الله الإسلام { ک گ گ گ } فيجازيه ويعاقبه على كفره بآياته والإظهار في قوله، فإن الله مع كونه مقام الإضمار للتهويل عليهم والتهديد لهم)[1].

وقال ابن كثير -رحمه الله-:(أي: بغى بعضهم على بعض، فاختلفوا في الحق لتحاسدهم وتباغضهم وتدابرهم، فحمل بعضهم بُغْض البَعْض الآخر على مخالفته في جميع أقواله وأفعاله، وإن كانت حقاً)[2].

ولقد جاءت السنة محذرة من البغي، بغي الناس بعضهم على بعض:

فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه- قال: خرج علينا رسول الله -- ونحن مجتمعون، فقال: " يا معشر المسلمين: اتقوا الله، وصلوا أرحامكم فإنه ليس من ثواب أسرع من صلة رحم، وإياكم والبغي، فإنه ليس من عقوبة أسرع من عقوبة بغي" [3] الحديث.

---

[1](?) فتح القدير:(1/491).
[2](?) تفسير القرآن العظيم:(2/25).
[3](?) رواه الطبراني: الأوسط:(6/ 18) برقم:(5664).

وعن عيـاض بن حمـار المجاشعي -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- أنه قال: " إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغِ أحد على أحد"[1].

(فـبين أن التواضع المـأمور به ضد البغي والفخر ....، فكـــان في ذلك ما دل على أن الاســـتطالة على الناس، إن كانت بغير حق فهي بغى؛ إذ البغي مجـاوزة الحد، وإن كانت بحق فهي الفخر، لكن يقال على هـذا: البغي يتعلق بـالإرادة، فلا يجـوز أن يجعل هو من بـاب الاعتقـاد وقسـيمه من بـاب الإرادة، بل البغي كأنه في الأعمـــال والفخر في الأقـــوال، أو يقـــال: البغي بطر الحق، والفخر غمط الناس)[2].

ومن تأمل أحوال المنحرفين عن الحق، وجد أن من عوامل انحرافهم بغي بعضهم على بعض.

واعتبر ذلك بصراعات الطوائف والجماعات تجد أن في النـاس من يـرد الحق بغيـاً على قائلـه، وإنما دفعه لذلك البغي؛ تشـعب المقاصد بـه، فهو لا يريد وجه الله وإلا عـدل، وإنما يريد الـدنيا والعلو في الأرض، ونصـرة الطائفة ونحو ذلك.

---

[1] (?) رواه مسلم:(1149) برقم:(2865).
[2] (?) ابن تيمية: مجموع الفتاوى:(14/221).

المطلب الرابع:

التعصب

التعصب:(شيمة من شيم الضعف، وخلة من خلل الجهل، يبتلى بها الإنسان، فتعمى بصره، وتُغشي .. عقله، فلا يرى حسناً إلا ما حَسُن في رأيه، ولا صواباً إلا ما ذهب إليه، أو من يتعصب له)[1].

وسواء كان تعصب المتعصب لرأي نفسه، أو لرأي عالم مجتهد، أو لرأي إنسان ليس أهلاً للإمامة، وإن كان إماماً في نظر المتعصب، أو كان لجماعة أو حزب أو طائفة، فكل ذلك من ألوان التعصب.

وقد وقع التعصب في تاريخ الأمة كثيراً، وأمثلته تكاد لا تنتهي، ففي كل زمن تحدث ألوانٌ من التعصب[2].

منشأ التعصب:

ينشأ التعصب عن الهوى وغلو بمحبة النفس، أو محبة الإمام المقتدى به، أو محبة فكر ومعتقد ما ونحو ذلك من أوجه الهوى بحيث يظن المرءُ نفسه معصومةً، أو إمامه، أو طائفته، أو فكره، ولذلك نهانا الله عن التشبه باليهود في أوصافهم التي منها: كتمان العلم بخلاً به، أو اعتياضاً عن إظهاره بالدنيا، أو تعصباً وخوفاً أن يُحتج عليهم بما أظهروا منه[3].

يقول تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩﭼ [آل عمران:187].

(وهذا قد ابتلى به طوائف من المنتسبين إلى العلم، فإنهم تارة يكتمون العلم بخلا به، وكراهة أن ينال غيرهم من الفضل ما نالوه، وتارة اعتياضاً عنه

---

[1] (1) محمد العبده، وطارق عبد الحكيم: مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم:(83).

[2] (2) ينظر: الشاطبي: الاعتصام:(2/863-864).

[3] (3) انظر: ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم:(1/72).

برياسة، أو مال، ويخاف من إظهـاره انتقـاص رياسـته، أو نقص ماله، وتارة يكون قد خالف غـيره في مسـألة، أو اعتزى إلى طائفة قد خولفت في مسألة، فيكتم من العلم ما فيه حجة لمخالفه، وإن لم يـــتيقن أن مخالفه مبطل)[1].

وكل أولئك من التعصب للقول، أو للطائفة.

عن جبـير بن مطعم – رضـي اللـه عنـه- أن رسـول الله -ﷺ- قال:" ليس منا من دعا إلى عصـبية، وليس منا من قاتل على عصــــبية، وليس منا من مـــــات على عصبية "[2].

لقـد وقـع التعصـب في تـاريخ الأمـة، فتجـد شـدة تعصب أقوامٍ لأشخاص، أو مذاهب فكرية عقدية، فتجد الرجل يتفقه ويتـأدب بطريقـة قـوم صـالحين من مثـل أتباع الأئمة الأربعـة، أو منحـرفين من أربـاب المـذاهب الهدامة والأفكار الضـالة المنحرفـة، ثم يجعـل أصـحابه المعيار، فيوالي من وافقهم، ويعادي من خالفهم[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في وصـيته لأتبـاع عـدي بن مسـافر - رحمـه اللـه-:(الـواجب أن يقدم من قدمه الله ورسوله -ﷺ- ويـؤخر من أخـره الله ورســـوله -ﷺ- ويحب ما أحبه الله ورســـوله، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله؛ وينهى عما نهى الله عنه ورسوله- ﷺ- وأن يرضى بما رضي الله به ورســـوله ؛ وأن يكـــون المسلمون يدا واحدة)[4].

فالمحبــة والكــره، والرضــى والغضــب، والتقــديم والتأخير إنما هو بحسـب محبـة اللـه، وكرهـه، ورضـاه، وغضبه، وتقديمه، وتأخيره، وأما أهل الأهواء والانحراف

---

[1] (1) ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم:(1/72).
[2] (2) أخرجه أبو داود:(552) برقم:(5121).
[3] (3) ينظر: ابن تيمية: الفتاوى:(8/20-9).
[4] (1) الوصية الكبرى:(85).

فإنما ينتصرون لأهـوائهم بغـير علم، ويقـدمون آراءهم، وآراء مقدميهم، ومعظميهم بلا هدى من الله[1].

وعن جندب بن عبد الله البجلي – رضـي اللـه عنـه- قـال: قـال رسـول الله -ﷺ-:" من قتل تحت راية عِمِّيَّة، يدعو عصبية، أو ينصر عصبية، فقتلة جاهلية "[2].

قـال ابن الجـوزي -رحمـه اللـه- :(العمية: الأمر الملبس لا يــدرى ما وجهه، قـــال أحمد ابن حنبل: هو الأمر الأعمى كالعصبية التي لا يستبان ما وجهها.

والمقصود أنه يقاتل لهواه لا على مقتضى الشـرع)[3].

وعن أبى هريرة – رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-" .. ومن قتل تحت راية عمية يغضب للعصـــبة، ويقاتل للعصبة، فليس من أمتى .. "[4] الحديث.

قال القاضي عياض-رحمه اللــه-:(أي أنه إنما يقاتل لشهوة منه، وغضبها له، أو لقومه وعصبيته)[5].

وعن أبي هريـرة -رضي الله عنه- عن النـبي -ﷺ- أنه قـال:" من خــرج من الطاعة وفـارق الجماعة، فمـات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عميـــــــــاء يغضب لعصـبية، أو يـدعو إلى عصـبية، أو ينصر عصـبية فقتل قتل قتلة جاهلية، ومن خــرج على أمــتي يضــرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهـدها، فليس مني، ولست منه "[6].

قال القرطبي -رحمـه اللـه-:(وقوله:" فليس مـني، ولستُ منه" هذا التَّبَرِّي ظاهره: أنه ليس بِمُسلم. وهذا

---

[1] (2) وقد ذكر الشاطبي جملة من أسباب التعصب غالبها عائد إلى الهــوى: انظر: أدب الطلب ومنتهى الأرب:(40-123).
[2] (3) أخرجه مسلم:(773) برقم:(1850).
[3] (4) كشف المشكل من حديث الصحيحين:(1/346).
[4] (5) أخرجه مسلم:(772) برقم:(1848).
[5] (6) إكمال المعلم:(6/134).
[6] (1) أخرجه مسلم:(772) برقم:(1848).

صـحيحٌ إن كـان معتقـدًا لحِلِّيَّه ذلـك، وإن كـان معتقـدًا لتحريمه : فهو عاصٍ من العصاة، مرتكب كبيرة، فأمره إلى الله –تعالى- .

ويكون معنى التَّبَرِّي على هــذا ؛ أي : ليست له ذمّة ولا حرمة، بل إن ظُفِر به قُتِل، أو عُوقب، بحسب حاله وجريمته .

ويحتمل أن يكـــون معنـــاه: ليس على طريقـــتي، ولست أرضى طريقته . كما تقـدم أمثـال هــذا. وهــذا الذي ذكره في هذا الحديث هي أحـوال المقـاتلين على الْمُلك، والأغراض الفاسـدة، والأهـواء الركيكـة، وحمية الجاهلية)[1].

والمقاتلـة مرتبـة من مـراتب التعامـل مـع مقتضـى ذلـك التعصـب، فـالرد والمجادلـة، والبحث والمنـاظرة داخلة في ذلك.

فمن جـــادل أو رد، أو بحث ونـــاظر على مقتضـــى العصـبيات ففيـه من الجاهليـة بحسـب مـا فعـل، وهـو متوعد بالتبرؤ والوعيد بحسب ذلك.

مظاهر التعصب:

من أهم مظاهر التعصب هنا:

الأول: التعصب للمذهب أو للجماعة أو الحزب والطائفة:

إذا كان يجوز لقوم من المسلمين أن يجتمعـوا على عملٍ من أعمال الخير، فإنـه لا يجـوز لهم أن التعصـب على مقتضى ذلك الاجتماع، فإن فعلوا فقـد وقعـوا في المحـذور، ويحكم على الطائفـة عـبر النظـر في حـال أهلها (فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غـير زيـادة ولا نقصـان، فهم مؤمنـون لهم ما لهم وعليهم ما عليهم .

[1] (2) المفهم:(12/106).

وإن كـانوا قد زادوا في ذلك ونقصـوا، مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل، والإعـراض عمن لم يـدخل في حـزبهم سـواء كـان على الحق والباطل، فهذا من التفـرق الـذي ذمه الله تعـالى ورسـوله، فـإن الله ورســـوله-ﷺ- أمـــرا بالجماعة والائتلاف، ونهيا عن التفرقة والاختلاف، وأمرا بالتعاون على الـبر والتقـوى، ونهيا عن التعاون على الإثم والعدوان)[1].

وخطـــورة الأمر بالتعصب للمـــذهب أو الطائفة أو الجماعة يظهر حين لا يقبل المرء من الـدين والعلم إلا ما جـاءه من طريق جماعته فقط وحصـراً، فيكـون قد ولّى وجهه قبل طائفتـــه، ولم يخلص القصد لربه - عز وجل- فهو يعرض عن داعي الرحمن تعصباً لطائفته.

وهذا الأمر كان سبباً في كفر اليهـود، وضـلالهم من قبل.

قال تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ [البقرة:91] بعد أن قال سبحانه: ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ [البقرة:89].

فوصف اليهود بأنهم كانوا يعرفون الحق قبل ظهـور النبي الناطق به، وكانوا يظنون أن النبي سيكون منهم، فلما جاءهم هذا النبي -ﷺ- الناطق بالحق من غير ملتهم وطائفتهم التي يهوونها لم ينقادوا له؛ إذ كانوا متعصبين لطـائفتهم لا يقبلـون الحق إلا إذا جـاء منها[2]، فكـان تعصبهم لطائفتهم سبباً في الضلال الأعظم وهو: الكفر بالله ورسـوله -ﷺ- فاسـتحقوا بـذلك اللعنة الـتي جعلها الله على الكافرين.

وهذا الذي وقعت فيه اليهود ابتليت به طوائف (من المنتســبين إلى طائفة معينة في العلم، أو الــدين من المتفقهة، أو المتصـــــوفة، أو غــــيرهم، أو إلى رئيس

---

[1] (1) ابن تيمية: الفتاوى:(11/92).
[2] (1) انظر: ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم:(1/73).

معظم عندهم في الدين غير النبي -ﷺ- فإنهم لا يقبلون من الدين لا فقهاً، ولا رواية إلا ما جاءت به طائفتهم)[1].

إنك (تجد قوماً كثيرين يحبون قوماً، ويبغضون قوماً؛ لأجل أهواء لا يعرفون معناها، ولا دليلها، بل يوالون على إطلاقها، أو يعادون من غير أن تكون منقولة نقلاً صحيحاً عن النبي -ﷺ- وسلف الأمة، ومن غير أن يكونوا هم يعقلون معناها، ولا يعرفون لازمها، ومقتضاها)[2].

لذلك جعل بعض السلف علامة المبتدع تعصبه للأهواء، فقد قيل لأبي بكر بن عياش: يا أبا بكر من السني؟ قال:(الذي إذا ذكرت عنده الأهواء، لم يغضب لشيء منها)[3].

الثاني: التعصب للأئمة والقادة:

لقد اتفقت الأمة على أن الرسول -ﷺ- معصوم فيما بلغه عن الله - تعالى- وكذلك الأمة معصومة على أن تجتمع على ضلالة[4].

كما اتفق المسلمون على أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله، ويترك إلا رسول الله -ﷺ- فالناس كلهم مفتقرون إلى الكتاب والسنة، فلا بد لهم أن يزنوا جميع أمورهم بآثار الرسول فما وافقها فهو الحق، وما خالف ذلك فهو الباطل، وإن كانوا مجتهدين فيه، والله تعالى يثيبهم على اجتهادهم، ويغفر لهم خطأهم[5].

وإذا ما خالف أحدٌ هذا الأصل العظيم، فجعل بعض المعظمين عنده بمثابة الرسول -ﷺ- يطيعهم في كل ما

[1] (2) ابن تيمية:اقتضاء الصراط المستقيم (1/73-74).
[2] (3) ابن تيمية: الفتاوى:(20/163) وينظر: درء تعارض العقل والنقل:(1/271-272).
[3] (4) ذكره ابن تيمية: الاستقامة:(1/255).
[4] (5) ينظر: ابن تيمية: الفتاوى:(33/28).
[5] (1) ينظر: المصدر السابق:(2/227).

أمـروا بـه، فقد وقع في الغلو والتطـرف، وأوقعه ذلك في ألوان أخرى من الانحراف والابتداع.

(ولو فتح هذا الباب لوجب أن يعرض عن أمر الله ورسوله -ﷺ- ويبقى كل إمام في أتباعه بمنزلة النبي -ﷺ- في أمته، وهذا تبديل للدين)[1].

عن عدي بن حـاتم – رضـي اللـه عنـه- قـال: أتيت النبي -ﷺ- وفي عنقي صليب من ذهب. فقال :" يا عدى اطرح عنك هذا الوثن " وسمعته يقرأ في سورة بـراءة ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ[التوبة:31]ـ قال :" أما إنهم لم يكونـوا يعبـدونهم، ولكنهم كـانوا إذا أحلـوا لهم شـيئاً، استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً، حرموه "[2].

قـال المبـاركفوري – رحمـه اللـه-:(قـال في فتح البيـان: في هـذه الآية ما يزجر من كـان له قلب، أو ألقي السـمع وهو شـهيد، عن التقليد في دين اللـه، وتـأثير ما يقوله الأسـلاف على ما في الكتـاب العزيز والسـنة المطهـرة، فـإن طاعة المتمـذهب لمن يقتـدي بقوله ويستن بسنته من علماء هذه الأمـة، مع مخالفته لما جاءت به النصـوص، وقـامت به حجج الله وبراهينه، هو كاتخاذ اليهود والنصارى للأحبـار والرهبـان أرباباً من دون الله للقطع بـأنهم لم يعبـدوهم، بل أطـاعوهم وحرمـوا ما حرمـوا وحللـوا ما حللـوا، وهـذا هو صـنيع المقلدين من هذه الأمة)[3].

وقال ابن مسعود – رضي الله عنـه- :(ألا لا يقلـدن أحـدكم دينه رجلاً، إن آمن آمن، وإن كفر كفـر، فإنه لا أسوة في الشر)[4].

---

[1] (2) ابن تيمية: الفتاوى:(20/ 216).
[2] (3) رواه الترمـذي:(492) بـرقم:(3095) والـبيهقي: السـنن الكـبرى:(10/116) برقم:(20137).
[3] (4) تحفة الأحوذي:(7/418).
[4] (1) رواه ابن عبد الـبر: جـامع بيـان العلم:(2/229) وابن القيم: إعلام الموقعين:(2/195).

وقال ابن عبد البر – رحمه الله-:(وثبت عن النبي -- مما قد ذكرناه في كتابنا هذا أنه قال: "تذهب العلماء، ثم تتخذ الناس رءوساً جهالاً يسألون، فيفتون بغير علم فيضلون، ويضلون".

وهذا كله نفي للتقليد وإبطال له لمن فهمه وهدي لرشده)[1].

عن سفيان بن عيينة، قال: اضطجع ربيعة مقنعا رأسه وبكى، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال:(رياء ظاهر، وشهوة خفية، والناس عند علمائهم كالصبيان في حجور أمهاتهم، ما نهوهم عنه انتهوا، وما أمروهم به ائتمروا)[2].

وقال أيوب -رحمه الله-:(ليس تعرف خطأ معلمك؛ حتى تجالس غيره)[3].

وقال عبد الله بن المعتز-رحمه الله-:(لا فرق بين بهيمة تقاد، وإنسان يقلد)[4].

قال ابن عبد البر -رحمه الله-:(وهذا كله لغير العامة، فإن العامة لا بد لها من تقليد علمائها عند النازلة تنزل بها؛ لأنها لا تتبين موقع الحجة، ولا تصل بعدم الفهم إلى علم؛ ذلك لأن العلم درجات لا سبيل منها إلى أعلاها إلا بنيل أسفلها، وهذا هو الحائل بين العامة، وبين طلب الحجة والله أعلم.

ولم تختلف العلماء أن العامة عليها تقليد علمائها، وأنهم المرادون بقول الله- عز وجل-: ﭽ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭼ [النحل: 43].

وأجمعوا على أن الأعمى لا بد له من تقليد غيره ممن يثق بميزه بالقبلة إذا أشكلت عليه، فكذلك من لا

---

[1] (2) جامع بيان العلم:(2/229).
[2] (3) رواه ابن عبد البر: جامع بيان العلم:(2/230).
[3] (4) المصدر نفسه.
[4] (5) المصدر نفسه.

علم له ولا بصر بمعـــــنى ما يــــدين به لا بد من تقليد عالمه، وكذلك لم يختلف العلماء أن العامة لا يجـوز لها الفتيا, وذلك -والله أعلم- لجهلها بالمعــاني الــتي منها يجوز التحليل والتحريم والقول في العلم)[1].

وقد تنبه علمــاء المســلمين وأئمتهم لهــذا، فكــانوا يحذرون من التعصب لهم وتقليدهم تقليداً مطلقاً، قال الإمــام أبو حنيفة - رحمه الله -:(إذا جــاء الحــديث الصحيح الإسناد عن النبي - عليه السلام- أخذنا به)[2]

ونقل مثل ذلك المعـنى عن بقية الأئمة حـتى غـدا شعارهم :(إذا صح الحديث فهو مذهبي)[3].

(وهــذا لســان حــال الجميع ومعنــاه: أن كل ما تتكلمـون به على تحـري أنه طـابق الشـريعة الحاكمة، فـإن كـان كـذلك فبها ونعمت، وما لا فليس بمنسـوب إلى الشريعة، ولا هم أيضاً ممن يرضى أن تنسب إليهم مخالفتها)[4].

وأما أهل الانحراف والضلال، فقد غلوا في زعمائهم وقادتهم، فأطاعوهم طاعة مطلقة، فأضـلوهم، واعتـبر ذلك بالروافض وغلاة الصوفية ونحوهم.

إن هـــــذا التعصب المـــــذموم جر على الأمة بلايا عظمية في المعتقد، والشريعة، والسياسة، فلقد غلبت الأهــواء على النفــوس حــتى امتنعت عن قبــول الحق والسـماع من المحـق، بل جر هـذا التعصب إلى سـفك الدماء المعصومة.

---

[1] (1) المصدر السابق.

[2] (2) ابن عبد البر: الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء:(145).

[3] (3) انظـر: ابن عبد الــبر: جــامع بيــان العلم:(2/32، 149) والنــووي: المجموع:(1/63).

[4] (4) الشاطبي: الاعتصام:(2/862).

قال الإمام الشـوكاني -رحمه اللـه-:(واعلم أنه كما يتسبب عن التعصب محق بركة العلم، وذهـاب رونقـه، وزوال ما يـترتب عليه من الثـواب، كـذلك يـترتب عليه من الفتن المفضـية إلى سـفك الـدماء، وهتك الحـرم، وتمزيق الأعراض، واستحلال ما هو في عصمة الشــرع ما لا يخفي على عاقل، وقد لا يخلو عصر من العصـور، ولا قطر من الأقطـار من وقـوع ذلك .... وهـذا يعرفه كل من له خبرةٌ بأحوال الناس)[1].

إن من مقتضـيات الانتمـاء لهـذا الـدين طاعة الله ورسوله -ﷺ-: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ [الأنفال: 20].

وعدم التقدم على الله ورسوله -ﷺ- برأي أو قـول أو حكم: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ [الحجرات:1].

وحين يقدم المرء رأي نفسه أو رأي مقدمه وزعيمه على حكم الله ورسوله -ﷺ- يضل وينحرف، فلقد تقدم بيـان أن التعصب مـذموم شـرعاً، وهو سـبب للضـلال والانحراف، لذلك كـان من الضـروري نبذ التعصب بـأن يقبل المرء الحق والدين الذي جاء به سيد المرسـلين، ولو كــان ذلك على خلاف رأي نفســه، أو رأي زعيمه وحزبه، فإن الله تعالى يقول: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭼ [الأعراف:3].

وأما أفعال النـاس وآراؤهم، فالمعيـار لقبولها وردِّها هو: الوحي- الكتاب والسنة - فما وافق الـوحي أخذ به من أي مصدر كان، وما خالفه ردَّ مهما كـانت منزلة

---

[1] (1) أدب الطلب ومنتهى الأرب:(92).

قائله، فلا طاعة مطلقة لأحد إلا الله سـبحانه، ورسـوله -- إذ العصمة لا تكون لأحد بعد النبي-- فكل يؤخذ من قوله ويرد إلا محمد --.

قـــال الإمـــام مالك - رحمه الله -:(كل يؤخذ من قوله، ويرد إلا صاحب هذا القبر, وأشار إلى قبر النبي - -)[1].

وما سلم أهل السنة والجماعة من آفـات الانحـراف العقدي والفكري إلا حين سلموا لله ورسوله --.

---

[1] (1) الذهبي: السير:(8/93).

المطلب الخامس:

اتباع الهوى:

الهوى:(ميل الطبع إلى ما يلائمه، وهـذا الميل قد خلق في الإنسان لضرورة بقائه، فإنه لولا ميله إلى المطعم ما أكل، وإلى المشرب ما شرب، وإلى المنكح ما نكح، وكذلك كل ما يشتهيه فالهوى مستجلب له ما يفيد، كما أن الغضب دافع عنه ما يؤذى، فلا يصلح ذم الهوى على الإطلاق، وإنما يذم المفرط من ذلك، وهو ما يزيد على جلب المصالح ودفع المضار.

ولما كان الغالب من موافق الهوى أنه لا يقف منه على حد المنتفع أطلق ذم الهـوى والشـهوات؛ لعمـوم غلبة الضرر)[1].

وجمع الهوى أهواء[2].

والمقصـود بـالهوى شـرعاً: كل ما خـالف الهـدى، سواء سمي عقلاً أو غير ذلك.

قال ابن تيمية –رحمه اللـه-:(ولهـذا كـان من خـرج عن موجب الكتاب والسـنة من العلمـاء والعبـاد؛ يجعل من أهل الأهـــواء، كما كـــان السـلف ســمونهم أهل الأهواء، وذلك أن كل من لم يتبع العلم، فقد اتبع هواه، والعلم بالــدين لا يكــون إلا بهــدى الله الــذي بعث به رسوله -ﷺ-)[3].

قـال ابن عبـاس – رضي الله عنهمـا-:(إنما سـمي هوى؛ لأنه يهوى بصاحبه في النار)[4].

ومعلوم أن الذي يهوي بأهله إلى النار هو الإعـراض عن الحق والهـدى الـذي جـاء به رسـول اللــه-ﷺ- فكل

---

[1] (1) ابن الجوزي: ذم الهوى:(12).
[2] (2) انظر: ابن منظور: لسان العرب:(15/372).
[3] (3) الاستقامة :(2/224-225).
[4] (1) ابن بطة: الإبانة:(124-125).

حكم خالف حكم الله – عز وجل- ورسوله محمد -ﷺ- فهو من أحكام الهوى لا من أحكام العقل، ومن أحكام الجاهلية لا من حكم العلم والهدى.

چ ۆ ۈ ۈ ۇ ۋ ۋ ې ې ۉ ۉ ې ې ې ى ى ې چ [المائدة:49-50].

فأخبر سبحانه أنه: ليس وراء ما أنزله إلا اتباع الهوى الذي يضل عن سبيله، وليس وراء حكمه إلا حكم الجاهلية(1).

وهذه القاعدة متقررة في كثير من آيات التنزيل: چ ې ې ې ى ى ې ې چ [القصص:50] چ گ گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں ں ڻ چ [الجاثية:18].

وأصل الهوى نابع من الحب والبغض، والإرادة والكره (والحب والبغض يتبعه ذوق عند وجود المحبوب والمبغض، ووجد وإرادة، وغير ذلك فمن اتبع ذلك بغير أمر الله ورسوله، فهو ممن اتبع هواه بغير هدى من الله، بل قد يتمادى به الأمر إلى أن يتخذ إلهه هواه)(2).

وهذه المحبة التي تكون في القلب لا يلام عليها المرء، وإنما يلام على اتباعها.

يقول ابن تيمية –رحمه الله-:(ونفس الهوى - وهو الحب والبغض الذي في النفس - لا يلام عليه، فإن ذلك قد لا يملك، وإنما يلام على اتباعه)(3).

وإنما (الواجب على العبد أن ينظر في نفس حبه وبغضه، ومقدار حبه وبغضه، هل هو موافق لأمر الله ورسوله؟ وهو هدى الله الذي أنزله على رسوله -ﷺ-

---

1(2) انظر: ابن القيم: الصواعق المرسلة:(3/1046).
2(1) الاستقامة :(2/225).
3(2) الفتاوى:(28 /132).

بحيث يكـون مـأموراً بـذلك الحب والبغض، ولا يكـون متقـدماً فيه بين يـدي الله ورسـوله) [1] أو هو مخـالف لأمر الله ورسوله -ﷺ-.

وإذا بلغ الإنسـان في حب شـيء أعمـاه حبه عما عداه، وأصمه عن سماع ما سـواه، فعن أبي الـدرداء -رضي الله عنه- مرفوعاً:" حبك الشـيءَ يعمي، ويُصـمّ".[2]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:(وصـاحب الهـــوى يعميه الهـــوى ويصـــمه، فلا يستحضر ما لله ورســـوله -ﷺ- في ذلك، ولا يطلبه، ولا يرضى لرضا الله ورســـوله -ﷺ- ولا يغضب لغضب الله ورســـوله-ﷺ- بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهـواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه)[3].

والأهـواء تكـون في الشـهوات، والشـبهات (واتبـاع الأهـــواء في الـــديانات أعظم من اتبـــاع الأهـــواء في الشهوات، فإن الأول حال الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ... ولهذا كان من خرج عن موجب الكتـاب والسنة من المنسـوبين إلى العلمـاء والعبـاد يجعل من أهل الأهواء، كما كـان السـلف يسـمونهم أهل الأهـواء، وذلك أن كل من لم يتبع العلم، فقد اتبع هـــواه، والعلم بالدين لا يكون إلا بهدي الله الذي بعث به رسوله -ﷺ-.

ولهذا قال الله تعالى في موضع: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧﭨ [الأنعام:119] وقال في موضع آخر: ﭽ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲﯳ ﭼ [القصص:50])[4].

---

[1] (3) ابن تيمية:الاستقامة :(2/222-223).
[2] (4) أخرجه أبو داود:(553) بـرقم:(5130) وأحمـد:(36/ 24) بـرقم:(21694) وقـال شـعيب الأرنـؤوط: (صـحيح موقوفاً، وهـذا إسـناد ضـعيف لضـعف أبي بكر بن أبي مـريم) والطـبراني: الأوسـط:(4/ 334) برقم: (4359).
[3] (5) منهاج السنة:(5/256).
[4] (1) ابن تيمية: الاستقامة :(2/223-225).

لقد بين الله – عز وجــل- أن أصل ضــلال الضــالين إنما هو اتبــاع الهــوى والظن، والإعــراض عن الــوحي والعلم فقال:

ﭽ ... ﭼ [النجم:23].

ﭽ ﭙ ﭚ ... ﭼ [القصص:50].

ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ... ﭼ [الروم:29].

وأصل الضــلال: اتبــاع الظن والهــوى، كما قــال – تعالى- في حق من ذمهم ﭽ ... ﭼ [النجم: 23].

وهــذا وصف للكفــار، فكل من له نصــيب من هــذا الوصـــف، فله نصـــيب من متابعة الكفـــار بقـــدر ذلك النصيب.

وقال تعالى في حق نبيه ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭼ [النجم:1-4].

فنزهه عن الضـــلال والغوايـــة، اللـــذين هما الجهل والظلم، فالضال هو الذي لا يعلم الحق، والغاوي الــذي يتبع هواه، وأخـبر أنه لا ينطق عن هـوى النفس، بل هو وحي أوحـــاه الله إليـــه، فوصـــفه بـــالعلم ونزهه عن الهوى[1].

والانحرافات والبدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشـــرع، ولهـــذا يســـمى أهلها أهل الأهـــواء، وكـــذلك المعاصي إنما تقع من تقـــديم الهـــوى على محبة الله ورســوله، ومحبة ما يحبه[2]، وإنما كــان انحــراف أهل الكتاب بسبب معارضة الوحي بالهوى، فاتبعوا أهواءهم

---

(1) انظر: ابن تيمية: الفتاوى:(3/384).
(2) انظر: ابن رجب: جامع العلوم:(2/397-398).

وكذبوا الرسل: ﭽ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﭼ [المائدة:70].

ولما كان اتباع الأهواء بهذه المثابة، وأنه مفتـاح شر وبـاب بدعة وضـلالة وانحـراف؛ حـذرنا الله من سـلوك طريق أهل الأهـــواء، وبين لنا أن من اتبع هـــواه فقد نــزعت عنه ولاية الله ونصــرته، وكل إلى هــواه الــذي اتبعه، وصار من الظالمين:

ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ [البقرة:120].

ﭽ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ [البقرة:145].

ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ [الرعد:37].

ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ [المائدة:77].

ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ [الأنعام:150].

وكان تحذير السلف بليغاً من مجالسة أهل الأهـواء ومجــادلتهم، وعللــوا ذلك بــأن تلك المجالسة ســبيل لمشـــاركتهم بـــدعتهم، وتلـــبيس الحـــق، والضـــلال والانحراف.

قــــال أبو قلابة -رحمه الله -:(لا تجالســـــوا أهل الأهواء، ولا تجـادلوهم، فـإني لا آمن أن يغمسـوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون)[1].

وعن الحسن وابن ســـــيرين -رحمهما اللـــــه-:(لا تجالسـوا أصحاب الأهـواء، ولا تجـادلوهم، ولا تسـمعوا منهم)[2].

ﭑ ﭑ ﭑ

(1) رواه الدارمي:(1/90) وابن بطة: الإبانة:(2/435).
(2) رواه الدارمي:(1/91).

إنه عند التأمل نجد أصحاب الأهـواء يسـتدلون بأدلة شـرعية على أهـوائهم، وهـذا لا يعـني أنهم أهل اتبـاع، ذلك أنهم جعلوا الهوى أصلاً، والدليل تابعاً لذلك الهوى.

إذ إن النصـــوص الشـــرعية فيها متشـــابه، ويمكن تأويلها على أوجه غـير المـراده في كلام الله ورسـوله، فـإذا انضم إلى ذلك الجهل بأصـول الشـريعة، وعـدم الاضطلاع بمقاصدها أمكن انقيـاد ألفـاظ تلك الأدلة لما أراده أهل الأهواء فيها.

(والدليل على ذلك أنك لا تجد مبتدعا ممن ينسب إلى الملة إلا وهو يستشهد على بدعته بـدليل شـرعي، فينزله على ما وافق عقله وشهوته .. ولكن إنما ينساق لهم من الأدلة المتشـــابه منها لا الواضح، والقليل منها كـــالكثير، وهو أدل الـــدليل على اتبـــاع الهـــوى، فـــإن المعظم والجمهـور من الأدلة إذا دل على أمر بظـاهره فهو الحق، فإن جاء على ما ظاهره الخلاف فهو النـادر والقليل، فكـان من حق الظـاهر رد القليل إلى الكثـير والمتشابه إلى الواضح غير أن الهوى زاغ بمن أراد الله زيغه، فهو في تيه من حيث يظن أنه على الطريق)[1].

وإنما سـمي أهل البـدع أهل الأهـواء:(لأنهم اتبعـوا أهـواءهم فلم يأخـذوا الأدلة الشـرعية مأخذ الافتقـار إليها، والتعويل عليها؛ حـتى يصـدروا عنها، بل قـدموا أهـــواءهم، واعتمـــدوا على آرائهم، ثم جعلـــوا الأدلة الشرعية منظوراً فيها من وراء ذلك)[2].

وهؤلاء صنفان:

- صـنف قـدموا عقـولهم على الشـرع، وهم أهل التحسين والتقبيح، ومن مال إلى الفلاسفة.

---

[1] (1) الاعتصام:(1/177-178).
[2] (2) المصدر نفسه:(1/683).

- وصنف قدموا حظـوظهم الدنيويـة؛ لنيل رئاسة أو حظوة عند ذي سلطان.

فـــالأولون ردوا كثـــيراً من الأحـــاديث الصـــحيحة بعقـولهم، والآخـرون خرجـوا عن الجـادة حرصـاً على إفــــادة ولي لهم، أو الغلبة على عــــدو، أو جر النفع للنفس[1].

وصاحب الهوى يعطف كلام الله -تعالى- ورسـوله -ﷺ- على ما يقتضيه هواه، ولذلك قـال عمر بن الخطـاب -رضي الله عنه-:(إن هذا القرآن كلام الله، فلا يغرنكم ما عطفتموه على أهوائكم)[2].

ولقد قــــال الله - عز وجــــل- في أهل البدعة والانحراف ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ[آل عمران:7].

(فجعل من شأن المتبع للمتشـابه أنه يجـادل فيه، ويقيم النزاع على الإيمان، وسبب ذلك أن الزائغ المتبع لما تشـــابه من الـــدليل لا يـــزال في ريب وشك؛ إذ المتشابه لا يعطى بياناً شـافياً، ولا يقف منه متبعه على حقيقة، فاتبـاع الهـوى يلجئه إلى التمسك به، والنظر لا يتخلص له، فهو على شك أبـداً، وبـذلك يفـارق الراسخ في العلم؛ لأن جداله إن افتقر إليه فهو في مواقع الإشـكال العـارض طلباً لإزالته، فسـرعان ما يـزول إذا بين له موضع النظر.

وأما ذو الزيغ فـــإن هـــواه لا يخليه إلى طـــرح المتشابه، فلا يزال في جدال عليه، وطلب لتأويله)[3].

ومن علامـات أهل البـدع: ردّهم ما جـاء على خلاف مذهبهم.

---

[1] (3) انظر: الشاطبي: الاعتصام:(2/684).
[2] (1) رواه الدارمي:(1/371).
[3] (2) الشاطبي: الاعتصام:(1/739).

قال الشاطبي – رحمه الله-:(وعلامة من هذا شأنه: أن يردّ خلاف مذهبه بما قدر عليه من شبهة دليل تفصيلي أو إجمالي، ويتعصب لما هو عليه غير ملتفت إلى غيره، وهو عين اتباع الهوى، وإذا ظهر اتباع الهوى، فهو المذموم حقاً، وعليه يحصل الإثم، فإن من كان مسترشداً مال إلى الحق حيث وجده ولم يرده، وهو المعتاد في طالب الحق، ولذلك بادر المحققون إلى اتباع رسول الله -ﷺ- حين تبيّن لهم الحق)[1].

ومن علامات أهل الأهواء والانحراف: التعصب لمقدميهم، وعظمائهم، أو فرقهم وجماعاتهم دون دليل من كتاب أو سنة.

قال ابن تيمية – رحمه الله-:(ولهذا تجد قوما كثيرين يحبون قوماً، ويبغضون قوماً؛ لأجل أهواء لا يعرفون معناها ولا دليلها، بل يوالون على إطلاقها، أو يعادون من غير أن تكون منقولة نقلاً صحيحاً عن النبي -ﷺ- وسلف الأمة، ومن غير أن يكونوا هم يعقلون معناها، ولا يعرفون لازمها ومقتضاها)[2].

(وليس لأحد أن ينتسب إلى شيخ يوالى على متابعته ويعادى على ذلك، بل عليه أن يوالى كل من كان من أهل الإيمان، ومن عرف منه التقوى، من جميع الشيوخ وغيرهم ولا يخص أحدا بمزيد موالاة؛ إلا إذا ظهر له مزيد إيمانه وتقواه)[3].

ومن علامات أهل الأهواء: القيام لأهوائهم والانتصار لها، بل قد يكون المرء منكراً لمنكر من المنكرات الظاهرة، ولكن إنكاره ذاك مشوب بشائبة من الهوى، فينكر وهو يظن أن ذلك الإنكار للدين، وهو إنما أقامه وأقعده هواه، أو يكون مبدأ أمره الدين، فإذا أوذي أراد الانتصار لنفسه.

---

[1] (1) الاعتصام:(1/215).
[2] (2) الفتاوى: (20/163).
[3] (3) ابن تيمية: الفتاوى: (11/512).

قال ابن تيمية – رحمه الله-:(إن الإنســان عليه أولا أن يكـون أمـره لله، وقصـده طاعة الله فيما أمـره به، وهو يحب صــلاح المــأمور، أو إقامة الحجة عليه، فــإن فعل ذلك لطلب الرياسة لنفسه ولطائفته، وتنقيص غيره كان ذلك حمية لا يقبله الله، وكـذلك إذا فعل ذلك لطلب الســمعة والريــاء كــان عمله حابطاً، ثم إذا رُدَّ عليه ذلك، وأوذي أو نسب إلى أنه مخطئ، وغرضه فاسد طلبت نفسه الانتصــار لنفسه، وأتــاه الشــيطان، فكــان مبــدأ عمله لله، ثم صــار له هــوىً يطلب به أن ينتصر على من آذاه، وربما اعتدى على ذلك المــؤذي) [(1)].

---

[1] (1) منهاج السنة:(5/254-255).

والناس في ذلك أقسام ثلاثة:

الأول: قوم لا يقومون إلا لهوى في نفوسهم فلا يرضون إلا بما يعطونه، ولا يغضبون إلا لما يحرمونه، فإذا أعطي أحدهم ما يشتهيه زال غضبه، وصار الأمر الذي كان عنده منكراً مرضياً عنده، بل صار فاعلاً له وشريكاً فيه.

الثاني: قوم يقومون ديانة، ولله -عز وجل- مخلصين، لله مصلحين فيما عملوه، ويستقيم لهم ذلك حتى يصبروا على ما أوذوا.

الثالث: قوم يجتمع فيهم هذا وهذا، وهم غالب المؤمنين فمن فيه دين، وله شهوة تجتمع في قلوبهم إرادة الطاعة وإرادة المعصية، وربما غلب هذا تارة، وهذا تارة.

وإبان الفتن يكثر هذا النوع، فإنه لما كان آخر خلافة عثمان وخلافة علي -رضي الله عنهما- كثر هذا القسم، فنشأت الفتنة التي سببها عدم تمحيص التقوى والطاعة في الطرفين، واختلاطهما بنوع من الهوى مع أن كلا منهما متأول أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ومع هذا التأويل نوع هوى، ففيه نوعٌ من الظن وما تهوى الأنفس، وإن كانت إحدى الطائفتين أولى بالحق من الأخرى(1).

ومن خصائص هذه الأهواء: أنها تتمكن من نفوس أصحابها، وتكاد تدخل في كل عرق ومفصل كما قال النبي -ﷺ-: " وإنه سيخرج من أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق، ولا مفصل إلا دخله "(2).

---

[1] (2) انظر: ابن تيمية: الفتاوى:(28 /147-149).
[2] (3) أخرجه أبو داود:(503) برقم:(4597) وأحمد:(28/134) برقم:(16937) وقال شعيب الأرنؤوط: (إسناده حسن).

قال الشاطبي -رحمه الله-:(إن معنى هذه الرواية: أنه - عليه الصلاة والسلام - أخبر بما سـيكون في أمته من هذه الأهواء التي افترقوا فيها إلى تلك الفرق، وأنه يكون فيهم أقوام تـداخل تلك الأهـواء قلـوبهم؛ حـتى لا يمكن في العادة انفصـالها عنها وتـوبتهم منها، على حد ما يـداخل داءُ الكلب جسم صـاحبه، فلا يبقى من ذلك الجسم جـزء من أجزائه ولا مفصل ولا غيرهما إلا دخله ذلك الـــداء، وهو جريـــان لا يقبل العلاج، ولا ينفع فيه الدواء، فكـذلك صـاحب الهـوى إذا دخل قلبه، وأشـرب حبه لا تعمل فيه الموعظة، ولا يقبل البرهــــــان، ولا يكترث بمن خالفه) [1].

ومثَّل لــذلك ببعض المتقــدمين من أهل الأهـــواء، كمعبد الجهني، وعمرو بن عبيد.

وقـال -رحمه اللـه- أيضـاً:(فـإنهم كـانوا حيث لُقُـوا مطـــرودين من كل جهة، محجـــوبين عن كل لســـان، مبعدين عند كل مسلم، ثم مع ذلك لم يزدادوا إلا تمادياً على ضلالهم، ومداومة على ما هم عليه ﭽ ـ ﯓ ﯔ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﯕ ﯖﯗ ﭼ [المائدة:41]) [2].

(فأهل الأهـواء إذا اسـتحكمت فيهم أهـواؤهم، لم يبـالوا بشـيء، ولم يعـدوا خلاف أنظـارهم شـيئاً، ولا راجعـوا عقـولهم مراجعة من يتهم نفسه، ويتوقف في موارد الإشكال - وهو شأن المعتبرين من أهل العقــول - وهـؤلاء صـنف من أصـناف من اتبع هـواه، ولم يعبأ بعـذل العـاذل فيه، ثم أصـناف أخر تجمعهم مع هـؤلاء إشراب الهـوى في قلـوبهم؛ حـتى لا يبـالوا بغـير ما هو عليه) [3].

ويصـبح أهل البدعة وإن بعـدوا عن الحق يعتقد كل منهم أن الحق معـه، وأنه على السـنة لما أشـربوا من

---

[1] (1) الاعتصام:(2/ 778).
[2] (2) المصدر نفسه:(2/ 779).
[3] (3) الشاطبي: الاعتصام:(2/ 781).

أهوائهم، فصار كثـير من أهل الأهـواء ينتصر لجاهـه، أو رئاسته، أو فرقته وما نسب إليهم، ومن نسب إليهم، لا يقصد أن تكــون كلمة الله هي العليــا، بل يغضب على من خالفــه، وإن كــان مجتهــداً معــذوراً لا يغضب الله عليــه، ويرضى عمن وافقه وإن كــان جــاهلاً ســيء القصـد، فيحمد ما لم يحمـده اللـه، ويـذم من لم يذمه الله، ويوالي ويعادي على أهواء نفسه[1].

ولقد بين الله – عز وجـل- لنـا:(أن من النـاس من يتخذ إلهه هواه، أي: يجعل ما يألهه ويعبده هو ما يهواه، فالذي يهواه ويحبه هو الذي يعبده، ولهـذا ينتقل من إله إلى إله كالذي ينتقل من محبوب إلى محبـوب إذا كـان لم يحب بعلم وهـدى ما يسـتحق أن يحب، ولا عبد من يستحق أن يعبـد، بل عبد وأحب ما أحبه من غـير علم، ولا هدى، ولا كتاب منزل، قال تعالى: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ [الفرقان:43] .. وقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭼ [الجاثية:23].

قال سعيد بن جبير: كـان أحـدهم يعبد الحجـر، فـإذا رأى ما هو أحسن منه رماه وعبد الآخر.

وقال الحسن البصري: ذاك المنافق نصب هواه فما هوي من شيء ركبه.

وقال قتادة: أي والله كلما هـوي شـيئاً ركبـه، وكلما اشتهى شيئاً أتاه لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى)[2].

وإذا زاغ صاحب هوى زين له سوء عملـه، وظن أنه على حق فتمادى في الضلالة ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ [محمد:14].

فصاحب البدعة والانحراف لما غلب الهوى وسـوء القصد مع الجهل بطريق السـنة؛ تـوهم أن ما ظهر له

---

[1] (1) انظر: ابن تيمية: منهاج السنة:(5/ 255).
[2] (2) ابن تيمية: الرد على الإخنائي:(93).

بعقله، هو الطريق القـــويم دون غـــيره، فمضى عليه، فحاد بسببه عن الطريق المستقيم.

فهو ضـال من حيث ظن أنه راكب للجـادة، كالمـار بالليل على الجـــــادة، وليس له دليل يهديه يوشك أن يضل عنها، فيقع في متاهــة، وإن كـان بزعمه يتحــرى قصـدها، فالمبتـدع والمنحـرف من هـذه الأمة إنما ضل في أدلتها، حيث أخـذها مأخذ الهـوى والشـهوة وسـوء القصد، لا مأخذ الانقياد والإخلاص لأحكام الله[1].

إن سـلامة المنهج، وصـحة الاعتقـاد، وسـلامة الفكر إنما تكون بمخالفة الهوى، والبعد عن سوء القصــد، مع الإخلاص لله واتباع وحيه المنزل، والتسليم له.

---

[1] (1) انظر: الشاطبي: الاعتصام:(1/176-177).

المحتويات